جامعة المنصورة
كلية التربية بدمياط
قسم أصول التربية

# التربية
# ومشكلات الإنسان المعاصر

اعداد

د . فاروق فليه

١٩٨٦/١٩٨٥

# مقدمـــــــــة

يتزايد الاهتمام بالبيئة والمحافظة عليها سواء محلية أو قوميـة وذلك بعد أن استشعر الانسان الأخطار التى تهدده ــ وكذلك لما يشهده العالم المعاصر من تفاوت من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بين الدول ــ فهناك من الدول حققت تقدما اقتصاديا وتغيرا ثقافيا • ودول أخرى لاتزال تتحسس الطريق الذى تبدأ منه ذلك لأن كثير من هذه الدول حصل على استقلاله منذ فترة قليلـــة بحيث أصبح واضحا أن دول العالم أحدهما متقدم ( ويضم دول اورباه وأمريكا الشمالية ،وأوربا الشرقية ) حيث يشتمل على $\frac{1}{4}$ سكان العالـم ، ويستأثر بنحو $\frac{3}{4}$ الدخل العالمى ، والآخر متخلف ( ويضم مايطلق عليه الآن بدول العالم الثالث ) •

ولذا بدأ العلماء من تربويين واجتماعيين واقتصاديين فى تحليل الظواهر الناتجة من العلاقة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفـــة للوقوف على اسباب تخلف هذه الدول أوتقدم تلك الدول • فمن هذه الظواهر يمكن التعرف على امكانية تنمية تلك المجتمعات المتخلفـــة والوصول بها الى مواكب الدول المتقدمة • ومن خلال هذا الاهتمـام ظهر مفهوم التنمية بوصفه أداة او وسيلة من خلالها يمكن للـدول النامية ان تواجه عوامل التخلف بتبنيها الخصائص أوسمات المجتمعات المتقدمـــــة •

وهذه الموضوعات والتى تمثل محتوى مابين ايدينا من صفحـــات تعنى بالدرجة الاولى الوقوف على المشكلات التى تواجه مجتمعنا المصرى

والتى تفوق عملية التنمية — فمن هذه المشكلات — المشكلة السكانيــة والتى تتناول مشكلات فرعية منها مشكلة الغذاء والاسكان ورقعــة الارض الزراعية وكيفية الوصول عن طريق التربية لحل هذه المشكلات والمشكلة الثانية هى مشكلة الحضارة والثقافة والمدنيــة ٠والمشكلة الثالثة التنمية الاقتصادية والتى فى ضوءها يمكن الوصول بالانســـان المصرى المعاصر الى أرقى درجات الرقى الاقتصادى وهناك العديد من المشكلات العديدة والتى تتصل بالتربية اتصالا وثيقا من حـــيث تأثيرها على العملية التعليمية منها البطالة المقنعة والتخطيط — للموارد البشرية واستثمار الفائض البشرى — كما تشمل مشكلة البيروقراطية فى الادارة عائقا لاى عملية تخطيطية ومن المشاكل الشائعة فى نظامنا التعليمى " مشكلة الرسوب والتسرب " ٠

ودراسة هذه المشكلات فى مجموعها ماهى الا دراسة سلوك وقيم وعادات وتقاليد الانسان المصرى المعاصر ٠ فما من مشكلة الا ويكون عنصرها الاساسى هو الفرد الانسانى — ولهذا فان هذه الصفحات التى بين ايدينا هى بصدد الوصول بالانسان المصرى المعاصر الـــى طريق الرخاء والرفاهيـــــــة ٠

د ٠ فاروق فليـــــــــه

# المحتـــــــــويات



* * * *

# الفصـــــــل الأول

## مشـــكلة التخـــــــلف

## ( الفصـــل الأولـــ )

## مشـــكلة التخـــلف

منذ ان كان الانسان وحظ بعض الناس من الدنيا افضل من حظ الاخرين. وهكذا كان في المجتمع الواحد اغنياء وفقراء . منعمـــون وكادحون .. كما كانت الشعوب والمجتمعات تنقسم بالمقارنة مـــع بعضها الى شعوب او مجتمعات غنية واخرى فقيرة .. وكان الفقـــر والغنى مرتبطا في الماضي بثراء البيئة او ملاءمة الموقع او قوة الشعب وسيطرته على اراضي غيره او مهارته في حرف يحتاجها الاخرون .

وقد نشأت وازدهرت الحضارات القديمة حيثما توفرت الميـــاه لانها في غالبيتها اعتمدت على الزراعة اساسا ومصدر ثروة .. كما مرت ثروات الشعوب في الماضي في دورات زادت حتى بلغت الاوج ثـــم انخفضت بفعل عوامل مختلفة منها عوامل بيئية واخرى انسانية .

ونسمع اليوم عن تقسيم الشعوب والدول الى غنية وفقـــيرة واحيانا تسمى دول الشمال ودول الجنوب . وتسميات اخرى مختلفة لعل اكثرها شيوعا الدول المتقدمة والمتخلفة ـ واحيانا يستبدل اسم الدول النامية بالمتخلفـــــة .

ولابد لنا من وقفة هنا .. اذ يرتبط في اذهان الناس كثيرا مفهـــوم التقدم بالغنى ومفهوم التخلف بالفقر قياسا على التقسيم في الماضي ولكن الامر في الحقيقة مختلف بعض الشيء . ذلك ان التقدم والتخلف

صفتان لم تظهرا الا فى ظل الحضارة العلمية الحديثة • وصحيح ان بعض الشعوب فى الماضى كانت متحضرة بينما كانت شعوب اخرى تعيش فى حالة بدائية او غير متحضرة • الا انه ندر ان كانت الدول المتحضرة فى الماضى غير غنية وندر ان كانت الدول البدائية غير فقيرة • اما صفتا التقدم والتخلف فى عصرنا الحاضر فلهما اسباب اخرى غير الغنى والفقر او لعل الغنى والفقر لم يعودا العامل الرئيسى فيهما • وعلى ذلك نجد اليوم بعض الدول الغنية ماديا غير متقدمة وبعض الدول الفقيرة فى مواردها وثرواتها الطبيعية متقدمة وبعضها متقدم جدا • ويكفى ان نذكر اليابان وبريطانيا وسويسرا كأمثلة على الدول الفقيرة فى مواردها الطبيعية المتقدمة حسب معايير التقدم الحديث • من هنا كان لابد من تحديد واضح لمفهوم التقدم والتخلف لا لمجرد البحث الاكاديمى وانما لان التخلف اليوم مشكلة مرعبة تواجه بعض الشعوب وتهدد حياتها وكيانها •

قلنا ان مفهوم التقدم والتخلف نشأ فى ظل الحضارة العلمية الحديثة •• فلابد اذا ان يكون هذا المفهوم مرتبطا ارتباطا وثيقا بهذه الحضارة ومنبثقا عنها •

ولقد حاول كثيرون ان يصطلحوا على مقياس يقيسون به التقدم والتخلف •• ونجم عن هذه المحاولات مقاييس عديدة لا مقياس واحد • وواضح ان تعدد المقاييس واختلافها لا يؤدى الى قياس دقيق •••• ومن هذه المقاييس المختلفة كان معدل كمية الماء التى يستهلكها الفرد ى المجتمع ما او كمية الصابون المستهلك • وكلا هذين المقياسين

يعكس الاهتمام بالسلوك الانسانى من الناحية الصحية ( مع ان معدل استهلاك الماء يعكس ايضا درجة التصنيع ) • ومنها ايضا كان مقياس درجة التصنيع فى المجتمع بمعايير مختلفة • ومعدل دخل الفرد فى السنة • وكان مقياسه مايستهلكه الفرد من الطاقة فى السنة • وكان مقياس مبلغ عناية الفرد والمجتمع بالصغار ومدة هذه العناية • الى آخر المقاييس التى ابتدعها المفكرون • • وكل مقياس من هذه يقيس جانبا او اكثر من جوانب التقدم ولكنه لايقيسها كلها •

ولعلنا لانعدو الواقع كثيرا ان نحن قلنا ان التقدم فى هذا العصر يقاس او يجب ان يقاس بمدى ماتاخذ به الشعوب والمجتمعات من الحضارة العلمية ومدى ماتسهم فيها وفى تقدمها •

على اننا نود ان نشير هنا الى اننا نعتقد بان الحضارة العلمية الحديثة ليست الحضارة الغربية التى نعرف وان الخلط بين الاثنتين سبب ويسبب كثيرا من الاخطاء فى رد الفعل • • وسنوضح هذا فيما بعد •

وفى نفس الوقت نود ان نؤكد ايضا اعتقادنا بان الانسان لا يحيا بالعلم وحده • وان المناحى الادبية والموسيقية والفنية او الوجدانية امور هامة ولازمة ولكنها ليست ذات اثر مباشر على الحضارة العلمية ولا على التقدم بمفهومه الحديث • ومما لاشك فيه ان هذه المناحى الوجدانية تثرى حياة الانسان وترهف حسه وتصقل عواطفه وبهذا يصبح اكثر انسانية • • ولكن كل هذا على اهميته للانسان • لادخل له بالتقدم حسب المعايير النافذة المؤثرة فى حياة الامم والمجتمعات •

على انه يفسم اعتقادنا باهمية الوجانب الوجدانية واثرها في الانسان وحياته نود ان نتوقف عند الاتهامات التي تكال للعلم والتكنولوجيا ـ او الحضارة العلمية الحديثة من انها تجعل الفرد ماديا متجمد الحس بعيدا عن النظرة الجمالية . بعيدا عن الدين والمعايير الخلقية والشعور الانساني النبيل .لا بل ان كثيرين يعزون المشكلات المتعلقة بكل هذا الى اثر العلم والتكنولوجيا المباشر على الانسان المعاصر .

ومع ان هذه المظاهر ازدادت بشكل ملفت للنظر في هذا العصر الذي تسود فيه الحضارة العلمية الحديثة الان ذلك لا يعني ان هذه الحضارة هي بالذات السبب في هذه الظاهرة بل لعل الانسان واجد السبب في نفسه لو بحث بموضوعية وتجرد .. ولعل هذه المظاهر نفسها كانت وما زالت ضمن المواضيع التي حاول الادب والفن عبر العصور ابرازها ومعالجتها .

وهناك ايضا من يزعم ان العلم بحد ذاته والتكنولوجيا الناجمة عنه يخلوان من قيم الجمال والتناغم والفن . ورغم اننا نعترف بان اساليب التفكير العلمية والتكنولوجية تختلف اختلافا جوهريا وجذريا عن اساليب التفكير الادبية والفنية الان ذلك لا ينفي ان في العلم جمالا وتناغما يطرب الانسان ( والعالم بشكل خاص ) . ويصقل حسه ، كما ان في الآلة التي تبتدعها التكنولوجيا جمالا وفنا كبيرين يتضحان لمن يتمعن فيها .. والجمال ، بعد ، في عين المشاهد . بل ان العالم الرياضي . مثلا الذي يتوصل عبر معادلاته

الرياضية ورموزها وارقامها الى حل لمشكلة ما يشعر بالاضافة لشعور الرضاء بالنجاح بمبلغ الجمال والتناسق والتناغم فى الاسلوب الرياضى وفى النتيجة التى اوصله اليها • وكذلك العالم الذى يتوصل الى فرضية تفسرظواهر مختلطة لم يكن يعلم لها تفسيرا يحس فى اعماقه بنشوة تشابه الى حد كبير نشوة الموسيقى عندما يقع على لحن جميل اونشوة الشاعر عندما تنتظم فى نفسه الكلمات المعبرة عن شعور دفين • وهذا الشعور يعلمه كل من عانى العلم على اصوله الصحيحة اوراقب عالما يعانيه • ولانجد داعيا للتمثيل على ذلك فكل كشف علمى اثار فى نفس العالم الذى توصل اليه هذا الشعور واحدث فيه نشوة التناغم الفكرى مع الكون فوق نشوة النجاح • ثم من قال ان الآلة عبارة عن هدير وضجيج وخطر ماثل وشكل قبيح أوليس فى الالة ـ أية آلة وحتى آلات الحرب والدمار ـ جمال مظهر وتناسق اجزاء لمن يريد ان يرى ذلك ؟ أوليس القبح فى استعمالها لافيها هى ؟

( ومنذ ان بدات الحضارة العلمية الحديثة تسيطر على حياة الناس فى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت للعيان مشكلة انقسام الشعوب والمجتمعات الى " متقدمة ، ومتخلفة " • •وصاحب ذلك سيطرة الدول المتقدمة على الدول المتخلفة سيطرة أوثق واشد من سيطرة الاستعمار المباشر الذى كان معروفا من قبل • وحتى فى يومنا هذا وقد انتهى عهد الاستعمار المباشر ونعمت الشعوب بالاستقلال والحرية مازالت الدول المتخلفة تعتمد اعتمادا كبيرا

على الدول المتقدمة في جميع مناحي الحياة . وحتى عندما تتحول الدول المتخلفة للتصنيع نجدها معتمدة في الات صناعاتها وقطع غيارها على الدول المتقدمة . وقد راينا امثلة من اعتماد الدول المتخلفة على الدول المتقدمة في السلاح وقطع غياره وكيف كان بوسع الدول المتقدمة التحكم في قوة الدول المتخلفة بمجرد الامساك عن تزويدها بقطع غيار السلاح ).

( أوليس هذا التحكم نوعا من الاستعمار ؟ ولعله اشد واقسى من الاستعمار المباشر .. ثم ان التخلف اليوم ليس مجرد مشكلة تواجه بعض الدول والشعوب . بل انه يتعدى ذلك ليصبح تحديا لوجود تلك الدول ومستقبلها . فازدياد التقدم العلمي والتكنولوجي عند الدول المتقدمة بشكل متسارع يجعل الهوة بينها وبين الدول المتخلفة تتسع وتعمق الى درجة ان هناك تهديدا حقيقيا بان يكون هناك نوعان من السكان في العالم يختلفان عن بعضهما اختلافا بينا اذ هما يعيشان على الارض في فترة زمنية واحدة ولكنهما غير متعاصرين )

وقد حاولت كثير من الدول المتخلفة بعد ان افاقت على هذا الواقع المرير ان تاخذ بالحضارة العلمية الحديثة كسبيل للوصول الى مرتبة الدول المتقدمة . غير ان كثيرا من هذه الدول اعاقتها عوائق عدة لعل اهمها عدم فهم هذه الشعوب حقيقة مفهوم العلم وبالتالي الحضارة العلمية . وكان عدم فهمها العلم فهما صحيحا وراء الفكرة الشائعة بان الحضارة العلمية يمكن ان تستورد . اذا توفر المال . وبذلك يحدث التقدم وتنتفي مظاهر التخلف.

وهذا بعيد عن الصواب والواقع بعدا شديدا • فالحضارة ليست مظاهر تقتبس وتشترى • والتقدم لاياتى من الخارج • • • بل لابد ان ينبع من داخل الفرد والمجتمع حتى يكون قوة دافعة مستمرة ومتزايدة على المدى •

وعلينا ان نعى ان العلم غريب عن الطبيعة الانسانية • ذلك ان الانسان عاطفى بطبعه ويكره التغيير ويقاومه • بينما العلم باسلوبه الفكرى لايستخدم العاطفة بل ويبعدها بعيدا • ثم ان التغيير ناتج طبيعى للعلم وتطبيقاته التكنولوجية • فاذا فهمنا ان العلم غريب عن الطبيعة الانسانية عرفنا ان الانسان لايولد عالما ولابد حتى يصبح كذلك من تدريبه منذ نعومة اظافره على اساليب الفكر العلمى والبحث العلمى والتطبيق التكنولوجى •

وهناك امرا آخر لايقل عن سابقه اهمية • • اذ يتحتم على الدول المتخلفة ان تعى وعيا اكيدا طبيعة الحضارة العلمية الحديثة واثرها فى ميزان القوى فى العالم • فبدون ذلك تظل الجهود المبذولة فى اتجاه التقدم جهودا فردية لاتؤدى الى شئ • وتظل فى حالات اخرى محاولات لاتدعمها روح عزم وتصميم ولايدفعها اصرار ذوى الرؤية الواضحة والهدف المبين المبتغى وهذا ايضا لايؤدى الى شئ • فالهوة المتزايدة تحجب اثر كل تقدم محدود يمكن ان تحققه هذه الجهود والمحاولات • وبذا تكون الحصيلة النسبية النهائية تأخرا لاتقدما •

وخشية ان يظن بعض الناس ان القوة التى تسببها الحضارة

العلمية فى شعب اومجتمع ما هى الاقوة حربية فقط نود ان نوضح ان الصورة اكثر تعقيدا من ذلك . فكثيرا من شعوب العالم ومجتمعاته المتقدمه ليست ذات حول اوقوة حربية كبيرة رغم انها حتما اقوى من مثيلاتها المتخلفة . ان التقدم يشمل بالاضافة للقوة المادية القوة الاقتصادية والاتزان المستقبلى والعزة والسبق الدولى والاحساس بأن الدولة ملاذ وموئل وذات امكانات لعيش الرفاه .

## أين نحن من هذا الصراع الحضارى :؟

المحنا الى انه تتجلى فى العالم اليوم معالم صراع حضارى لماله اعنف صراع تشهده امم العالم وشعوبه . ومع ان الناس خبروا كثيرا من الصراعات الحضارية فى الماضى . الا ان ايامنها لم يتخذ الابعاد التى تبدت فى العصر الحديث .

ولعل اسوأ ما فى هذا الصراع بالنسبة لنا فى العالم العربى غموض فهمنا لحقيقته . وقد سبب هذا الغموض بلبلة فكرية تهدد امكاناتنا فى اقتسام النصر والمشاركة فيه . وذلك انه من البديهيات المسلم بها ان يكون المرء متفهما لحقيقة الصراع الذى يخوضه اذا كان يريد ان يكون له حظ من النصر . ومن مظاهر البلبلة الفكرية هذه التيارات المتعارضة والاراء المتضاربة التى تعنف فى تضادها الى حد غير معقول ... فهناك من يرفض الحضارة الحديثة صراحة او تلميحا مطالبا بالانكفاء الى حضارتنا العربية التى ازدهرت اكثر ما ازدهرت مع انتشار الاسلام وهم يريدون ان يكون تراثنا السلاح الذى نتسلح

به في هذا الصراع الحضاري . وهناك من يعارض هذا الراى تماما .
ويذهب الى ان وسيلتنا الى نسب شيء من هذا الصراع يكمن في ان
نتمثل الحضاره العربيه ونأخذها سلاحا اساسيا في هذا الصراع .
ويرون انه بدون ذلك لن يكتب لنا النصر او اى نصر .. وكالعادة
هناك آخرون يختطون خطا وسطا .. فينادون بنوع من الدمج بين
حضارتنا الماضية وما نجم عنها من تراث والحضارة الغربية بحيث يخرج
من المزيج حضارة جديدة مشتركة السمات . وليس غريبا ان يختلف
هؤلاء فيما بينهم . اذ نجد من يريد المزيج الناتج عربى السمات
عربى المحتوى . بينما آخرون يريدونه عربى السمات عربى المحتوى
وآخرون غيرهم يريدون المزيج اشد تلاحما . واذا انت سألت أيا
منهم عن خطة واضحة لتنفيذ ما يريدون اتضح لك انهم لا يملكون خطة
ولا تصور الخطه بل لعلهم لا يدرون حقيقة ما يريدون .

والسر في كل ذلك يرجع الى عدم وضوح مفهوم الحضارة الحديثة
ومقوماتها واختلاط معالمها في اذهانهم بصورة الحضارة الغربيـة
( الليبراليه ) .. وهى الحضارة التى عرفها العالم العربى وظن
انها الحضاره التى منحت الغرب من السيطرة والقسوة والرفاه والغنى

وحتى لا يختلط الامر علينا ونتكلم في مفاهيم تحمل معانى مختلفة
عند الناس لابد لنا من ايضاح الفرق في رأينا بين مفهومى الحضـارة
العربيه والحضاره العلمية الحديثه .

انما نرى ان هناك حضارتين مختلفتين .. لم تكونا منفصلتيـن

تماما : فهناك الحضارة الغربية " الليبرالية " التى بدأت تطلق جذورها بعد انتشار المسيحية وظهرت بوادرها فى اعقاب القرون الوسطى وترعرعت وازدهرت فى عصر النهضة واستمرت حية نامية الى اليوم . وهناك الحضارة العلمية الحديثة التى انبثقت من الحضارة الغربية سالفة الدكر ولكنها اختلفت عنها اختلافا بينا يراه المدقق بوضوح وجلاء .. ولم يزد . فى هذا الشان دور الحضارة الغربية عن دور الام التى تلد ابنة لاتشبهها بالضرورة .

ذلك ان الحضارة الغربية ( الليبرالية ) لها جذور دينية وفلسفية واضحة . ولها بيئة محددة ومناخ فكرى مميز . شأنها فى ذلك شان كل الحضارات التى سبقتها .وهى حضارة تتبع دورة حيوية معروفة تنشأ وتنمووتزدهر ثم تأخذ بالاضمحلال او التحول .

اما الحضارة العلمية الحديثة فانها تختلف جذريا عن اى من الحضارات التى سبقتها اختلافها عن الحضارة الغربية ( الليبرالية ) رغم انها نشات عنها ومن جوها ومناخها .. ولعل اهم مظاهر اختلافها كونها عالمية غير مرتبطة ببيئة محددة او بوطن او بأمه وكذلك كونها لاتتبع الدورة الحيوية فى الحضارات السابقة .... فهى حضارة الانسان شئنا أم أبينا منذ أن نشأت والى أن يشاء الله وهناك اختلاف اخر هو انها لم تنشأ بروفق وتنمو وتزدهر .بل لعلها فى طبيعتها اقرب الى الثورة المتضاعفة منها الى الوليد النامى .. وهى بدلك ليست حضارة توحد اوتترك دون ان يؤثر دلك فى المجتمع الانسانى . فمثلا عاشت شعوب كثيرة دون ان تتأثر أو تسمع

بحضارة الصين القديمة او الهند او الانكا ولم يضرها ذلك كثيرا ٠

اما الحضارة العلمية الحديثة فلامجال للهرب من تاثيرها ولوحاول مجتمع ما التقوقع واعتزال العالم ٠٠اذ ان موجات آثارها تتخطى الحدود وتدك الابواب وتجتاح الحدود فاذا بالمتقوقع المعتزل يجد نفسه فى مواجهتها ومواجهة اثارها ونتائجها ٠٠ وقلما يكون مثل هذا الموقف فى مصلحته ٠ بل لعله يمثل تهديدا خطيرا لكيانه وبقائه ٠

وهناك كثيرون منا ٠ حتى من الذين تعتبرهم مفكرين لا يقدرون ضخامة الثورة العلمية التكنولوجية حق قدرها ولا يتصورون انه لا يوجد اليوم اى عامل له من الاثر ما يقارب اثر العلم فى تغيير اسس حياتنا ومعالمها ٠ فالعلم ونتائجه التكنولوجى يؤثران فى تفكيرنا واساليبه ويغيران اقتصادنا ويسيطران على صناعتنا ويؤثران فى صحتنا ورفاهنا ويغيران علاقتنا بالدول الاخرى ويفرضان ظروف الحرب والسلم لابل ان كل من ومايتنفس يتاثر بهما ولا يمكن ان يبقى بعيدا عن التفاعل بهما ٠ وفوق ذلك يمكننا القول انه حتى الجماد يتاثر بهما ويغيران فيه بشكل او باخر ٠٠وكم من جبل احالته التكنولوجيا بعد ان اكتشف العلم فيه معدنا الى سهل منبسط اوحفرة عميقة ٠ وغير ذلك كثير ٠

قلنا ان كثيرين من مفكرينا لا يتفهمون كنه الثورة الصناعية العلمية ولاضخامتها بالرغم من تعدد دعواتهم للاهتمام بالعلم والاخذ باسبابه ٠ اذ كثيرا ما نسمع القادة والزعماء والمفكرين فى خطبهم وكتاباتهم يدعون بحرارة للاتجاه نحو العلم والتمكن من

التكنولوجيا ٠٠ولكن اغلب ذلك لا يعدو فى حقيقة الامر ان يكون كلاما يقال ليسمع وينسى ٠ ولدينا شك كبير فى ان هؤلاء عندما يدعون للاخذ بالعلم ٠ يعلمون تماما ماهو العلم وماهوالسبيل للتمكن منه وبالتالى للتمكن من التكنولوجيا والاسهام فى الحضارة العلمية ٠

وقد المحنا الى ان العلم بطبيعته غريب عن طبيعة الفكر الانسانى المعتاد بالرغم من وجود غريزة حب الاستطلاع فى الانسان وهى احدى ركائز العلم والقوى الدافعة المحركة له ٠ ٠

ومن الواضح انه لا يمكن ان يكون الانسان عالما بالفطرة ولا ان يصبح عالما بدون مران شاق وتدريب متصل ٠شريطة ان يكون ذلك فى مناخ علمى يوفره المجتمع والدولة ويحرصان على تنميته ومن المهم ان نتفهم ان قوتنا وحياتنا ورفاهنا معتمدة اعتمادا كبيرا على العلم والتكنولوجيا ٠٠ كما ان من المهم ان نتفهم السر فى ان الحضارة العلمية الحديثة ان تندثر اوتضمحل كما حدث للحضارات القديمة ٠فالعلم بحكم طبيعته ديناميكى مستمر وهو ايضا تراكمى وبسبب ذلك لن يتمكن الانسان من ايقاف ديناميكية العلم المستمرة ولن تتمكن الكوارث من حرمان البشرية من النتاج العلمى الذى تراكم عبر العصور ٠ كما ان العلم ونتاجه التكنولوجى اصبح جزءا اساسيا لا يتجزأ من حياة الانسان لا يمكنه الاستغناء عن اى منها ٠ ولو فرضنا ان حربا عالمية نووية مدمرة حدثت فسينجو عدد كاف من العلماء والتكنولوجيين وستبقى حصيلة العلم الانسانية بحيث ستتمكن البشرية من اعادة ادارة العجلة والانطلاق بها من النقطة التى توقفت عندها ٠

ولايضاح ذلك نود ان نقول ان المجتمعات التى جاءت عقب اضمحلال حضارة قديمة كثيرا ماكانت منردة حضارية فكان الناس وهم من نسل الدين صنعوا الحضارة غرباء عنها وجاهلين بها وغير قادرين علـى مجاراتها . وهكذا نجد ورثة حضارات مابين النهرين ينحدرون الـى عدم القدرة على الابقاء على انظمة الرى التى كانت موجودة مثـلا ويرتد ورثة حضارة الانكا والمايا من الابنية الجميلة المشيدة بالحجـر بشكل فنى الى السكنى فى اكواخ .ومثل هذا كثير . اما فى الحضارة العلمية الحديثة فيصعب جدا ان تحصل ردة من هذا النوع لان الاساس فـى المنجزات التى تمت هو الفكرة العلمية التى توصل اليها العلمـاء واسلوب العمل التكنولوجى وهذا كله مكتوب ومحفوظ فى انحاء عديـدة من العالم .. اما فى الحضارات القديمة فالمنجزات كانت تعتمـد على المهارة الفردية وهذه ان لم تعلم للاخرين كانت تضيع وتندثر .

والحضارة العلمية الحديثة كما اوضحنا تؤثر فى حياة الانسان من جميع وجوهها تأثيرا كبيرا فتغييرها تغييرا واضحا ومستمرا ومتتابعـا بالرغم من المقاومة الشديدة للتغيير التى يبديها الانسان والمجتمعات الانسانيـــة .

ويقول ماجنوس بايك فى كتابه " قرن العلم " : " تختلف الفتـرة التاريخية التى نعيشها عن كل ماسبقها . فالعـالم " اصغر " من ذى قبل واكثر ازدحاما . وبوسع المرء ان يطير بملابسه التى يلبسـها فى بيته من اوربا الى غرب الولايات المتحدة عبر القطب الشمالى فـى

ساعات قليلة ٠ونجد بجانب هذا من امثلة التكنولوجيا الحديثة دلائل على حدوث تغييرات موازية فى نظام المجتمع ٠ وتحدث هذه التغيرات لان الابتكارات العلمية التكنولوجية تغير افكار الناس وآرائهم حول الحياة والمرض والموت واساليب الحرب وانتاج الغذاء والثروة ٠وقد تمت معظم هذه التغيرات خلال الفترة ما بين سنة ١٨٥١ والوقت الحاضر " ٠

ويقول دافيد تومسون فى كتابه " اوربا بعد نابليون " ٠٠٠ " ما ان اطل منتصف القرن العشرين حتى بدا ان الحضارة اوروبية قد تشربت الاراء والاساليب والنظرة العلمية وما يتصل بها من تطبيقات مادية لدرجة ان العلاقة بين العلم والحضارة قد تغيرت تغيرا كليا وحدث تحول واضح فى الاهمية النسبية بينهما ٠ فبدلا من ان يكون رجل العلم واحدا من عديدين يشاركون فى النشاط الفكرى فى المجتمع اصبح هذا العالم مسيطرا على مجال النشاط الخلاق فى مجتمعه ( بل وتعداه الى مجتمعات اخرى ) ٠ اصبحت الحضارة الى درجة كبيرة لمتعهد من قبل عبد العلم والبحث العلمى والوسائل التى تسخر بها فوائد العلم التكنولوجية لخدمة الانسانية " ٠

ونحب هنا ان نذكر اننا نختلف مع تومسون فى مفهومه للحضارة الحديثة التى اسماها بالحضارة الاوروبية فنحن نعتقد ان العلم لم يصبغ تلك الحضارة بصبغته فقط ٠ بل انه انشأ حضارة علمية تختلف عن تلك الحضارة [illegible] نعايشت

معها • والا فكيف نفسر الحضارة الحديثة فى اليابان مثلا ؟ وكيف نفسر خصائص هذه الحضارة العالمية ؟

ويعتقد شايلد بان التاريخ الحضارى الانسانى مر بمنعطفين هامين : الاول : عندما اخترع الانسان الكتابة — والثانى : عندما اصبح العلم كفلسفة تفكير • واصبحت الالات التى تسير بطاقة غير حيوانية • عناصر اساسية فى الحضارة الانسانية •

فاذا كان الامر كما صورنا يحق لنا ان نتساءل : "اين نحن من ذلك ؟ " وللاجابة على هذا التساؤل احب ان اقدم عرضا مبسطا جدا من وجهة تاريخية لعلاقتنا كشرقيين بالغرب حيث نشأت الحضارة العلمية وازدهرت •

فعندما اتصلت شعوب العالم القديم ببعضها بعضا وضح اختلاف توزع الثروات فى اراضى كل منها • كما اتضح مابينها من تباين فى المستوى الثقافى والحضارى • ذلك انه منذ ان تقسم العالم فى اذهان الناس الى شرق وغرب واهل " الغرب" يحسدون اهل "الشرق" على النعم المتعددة التى افاءها الله عليهم على شكل ثروات نباتية وحيوانية وثروات معدنية ومناخية • وفوق ذلك انشأ اهل الشرق حضارات متعددة متعاقبة فى مقابل حضارتين اثنتين ( اليونانية والرومانية ) لاهل الغرب • وتوج كل ماسبق ان الشرق كان مهد الديانات السماوية كلها •

وكان من الطبيعى والحالة هذه ان تنشأ نزاعات مستمرة

فى فترات متعاقبة بين الشرق والغرب هدفها الاساسى سيطرة اى من الاثنين على الاخر .. وكان الاقتتال يتم باسلحة متكافئة تقريبا . وكانت الغلبة فى جانب الشرق مرات اكثر مما كانته فى الجانب الاخر ولعل للروح المعنوية العالية التى قاتل بها الشرق اثرا واضحا فى تفوقه هذا . غير ان هناك اثرا غير مدروس تاريخيا بدقة لاستخدام الاساليب والعدد المطورة فى التاثير على نتائج هذه الحروب ... فصلاح الدين استخدم الخيل العربية السريعة ( وقد انتج نوعها السريع المعروب حاليا فى حوالى ذلك الزمن ) ضد الخيل التى كان يستخدمها الصليبيون والتى كانت بطيئة الحركة اصلا وفوق ذلك اثقلت بالدروع . وكان لسرعة حركة الفرسان العرب والمسلمين فى المعركة اثر واضح فى النصر الذى تحقق . كما ان استخدام نابليون للمدفع المحمول على عجلتين اعطاه ميزة الحركة وساعده كثيرا فى تحقيق الانتصارات التى حققها وهناك امثلة عديدة اخرى .

واستمر النزاع والصراع واستمرت النتائج تتارجح كما اسلفنا الى ان رجحت كفة الغرب فجأة وبشكل حاسم . وكان ذلك عقب الثورة الصناعية ونتيجة تطوير المخترعات التكنولوجية وتطويعها للاستعمال الحربى . وهكذا تغلب الغرب على الشرق وبدأت عهود الاستعمار المباشر ثم الاستعمار الاقتصادى . واتخذ الاستعمار خلال هذه العهود اشكالا مختلفة الى ان طلع علينا بوجه جديد هو الاستعمار العلمى . ويختلف هذا الوجه الجديد للاستعمار بشكل واضح عن الانواع السابقة . فمع ان الاستعمار باشكاله السابقة

المختلفة ظل مخيف يخيم على حياة من يقع تحت ظله الا انه بطبيعته كان موقتا والى زوال .. ونشهد اليوم تقلص ظله عن اخر معاقلــــه اما الاستعمار العلمى فلامجال للثورة عليه ولاالى ازالته طالمـــا كان المجتمع متخلفا علميا وحضاريا . اذ انه فى تلك الحالة يكون دوما بحاجة اليه غير قادر على الاستغناء عنه . وكلما زادت الهوة بيـــن المجتمعات المتقدمة والمتخلفة اتساعا زاد اعتماد الثانية على الاولى وبذا يزداد تحكم الاولى بالثانية تحكما يشمل معظم مناحى الحياة

وقد سبق الصراع والاقتتال بين الشرق والغرب وصاحبه اتصالات بين الشعوب وتبع ذلك تاثر الحضارات ببعضها وتفاعلها تفاعــــل الآخذ المعطى والمتأثر المؤثر . وهذا امر طبيعى فى كل الحضارات السابقة . غيران ماكانت تاخذه حضارة من اخرى كان امرا اختياريا بمعنى ان الآخذ كان يقرر مايريد اخذه . وكان يترك مالا يريـــد فالحضارة العربية الاسلامية عنداتصالها بالحضارة اليونانيـــــة والرومانية اخذت عنهما العلم والفلسفة وتاثرت بهما ولكنها رفضت اخذ الشعر والادب . والسبب واضح لان الادب والشعراليونانـــى بصفة خاصة اعتمد او بنى على الدين اليونانى . ووجد العـــرب هذا الادب وذاك الشعر مليئا بذكر الآلهة واساطيرها ولما كـــان هذا متعارضا كلية مع عقيدتهم رفضوه ولم يلمحوا اليه لامن قريــب ولامن بعيد . وقد يكون من الادلة ذات المغزى ان الالياذة لم تترجم الى العربية الافى القرن العشرين . وكذلك لم ياخذ العرب المسلمون من التشريع الرومانى لانهم رأوا فى تشريعهم الاسلامى القانون الافضل

لتنظيم شئونهم الدنيويـــــــة .

وبعد كل هذه الاتصالات العنيفة تارة والهادئة تارة اخرى . جاء عهد فقدت فيه الحضارة العربية الاسلامية زخمها وازدهارها فراح العرب يغطون فى سبات حضارى عميق استمر قرونا .

وفجأة دهمتهم صدمة ايقظتهم من هذا السبات . وبينمـــا هم يغالبون السبات ويهمون بالصحو . كان الغرب قد سيطر عليهم وعلى مقدراتهم سيطرة كاملة ..

ولابد انه كان واضحا للعرب ان سر قوة الغرب المفاجئـــة كان امرا حضاريا . وكان امرا جديدا لم يعهدوه من قبل . ذلك انهم اكتشفوا بعد ثورات ومحاولات عديدة انه لاقبل لهم به . وكان لابـد من وجود بعض الزعماء الذين اثارهم هذا الامر فحاولوا الانفتـاح عليه والاقتباس منه . ولعل اول واوضح هذه المحاولات محاولـة محمد على فى مصر ـ ولكنها لم تكن المحاولة الوحيدة . ثم تتابعت المحاولات فى ارجاء العالم العربى فى تعاقب زمنى معروف .

الا ان هذه المحاولات فى غالبيتها الساحقة تركزت على اقتباس الحضارة الغربية ( الليبرالية ) وغفلت عن الحضارة العلميـــــــة التكنولوجية .ولئن كان للمحاولات الاولى بعض العذر ـ لا كله ـ فانا لانستطيع ان نفهم كيف استمرت الغفلة هذه مدة طويلــــــة من الزمن .

وهكذا نرى زعماء الفكر العربى المتفتح وقد عرموا فى بحـــار

الحضارة الغربية ( الليبرالية ) يترجمون تراثها ونتاجها الثقافي وبشكل خاص الادبي والفني منه . بل وارتد بعضهم الى اصولها اليونانية والرومانية . وكل هذا جميل لو انه كان جهدا ثانويا او لم يستنفد كل الطاقات الفعالة في ذلك الزمن .ولكن ما ناخذه على هؤلاء المفكرين في تلك الحقبة وعلى مفكرينا حتى يومنا هذا انهم لم يميزوا بين الحضارة الغربية والحضارة العلمية .لا بل انهم عموا عن الحضارة العلمية كلية . ووجهوا جهد الامة العربية سنوات طوالا توجيها خاطئا .وكانت الامة مطمئنة خلالها الى انها سائرة على الدرب فاذا بها تكتشف انها كانت تحت الخطى في درب اخر مختلف ولا يؤدي الى نفس الهدف المبتغى .

ان كثيرا من زعماء الفكر العربي حتى في هذا القرن وحتى الى يومنا هذا . .مازالوا غير واضحي الرؤية فيما يتعلق بابعاد سر قوة الغرب . وعلى هذا فليس من المتوقع ان يكون تخطيطهم سليما في محاولة الاخذ بيد هذه الامة لتتبوأ المكانة اللائقة بها .

وقد كانت ومازالت الاستراتيجية التي تسعى اليها الامة العربية وهي التسلح بسلاح الغرب الذي مكنه من السيطرة على العالم هي استراتيجية سليمة وصحيحة ومجدية . غير ان تنفيذها كان خاطئا والاسلوب كان بعيدا عن ان يوصل للهدف .

ذلك ان سر قوة الامم الغربية المتقدمة لا يكمن في حضاراتها الغربية الليبرالية . . فهي حضارة ككل الحضارات التي سلفت

( معانيها كحضارة ، افادت من العلم والتكنولوجيا ) بل ان سر هذه القوة يكمن في الحقيقة في حضارتها العلمية التكنولوجية . ازداد هذا التخبط الذى نتخبطه وازداد شعورنا بالنقص واليأس وحاجتنا الى الاخرين المتقدمين علميا وتكنولوجيا نرجو عونهم او نشتريه منهم .ومن الواضح اننا نكون بدون هذا العون العلمى والتكنولوجى ضعافا مكشوفى المقاتل .

واستمرت الخدعة تعمل فينا ونزيدها بخداع انفسنا. حتى بتنا نتوهم اننا لسنا باقل قوة وحضارة من الغرب لمجرد اننا قلدناه فى كل مظاهر حياته واساليب معاشه وفنه وادبه . ففى الابنية والشوارع والحدائق والساحات انشأنا الجامعات والمسارح واغدقنا على الفنانين ومعارضهم والموسيقيين وانتاجهم وفتحنا عقولنا لنتاج ادبى تدفق كطوفان يحمل الغث مع السمين والزبد مع الماء الى اخر ما هنالك من اوجه التقليد . وبعدها قلنا نحن مثلهم ولا فرق بيننا وبينهم . ولكننا فى كل هذا كنا نقلد الحضارة الغربية (الليبرالية ) دون الحضارة العلمية الحديثة .

وقد نجد بعض العذر للرواد الاوائل الذين بدأوا الاتصال بالحضارة الغربية كما اسلفنا . فنقلوا حضارته الليبرالية ولم ينتبهوا الى حضارته العلمية . ولكننا لا نكاد نجد عذرا لمن استمر فى هذا الاتجاه منذ نصف قرن .. اما الذين مازالوا حتى يومنا هذا يعمون عن الحضارة العلمية التكنولوجية ويستمرون فى احتطاط نفس المنحى فلسنا ندرى اى عذر يمكن ان يعتذروا به ولا يملك الا ان نقول "سامحهم الله"

ومن الامور المضحكة · وشر البلية مايضحك ، ان جهود زعماء الفكر العربى تلاقت مع جهود الاستعمار الذى كان يجثم على صدر الامة العربية · فقد سعى الاستعمار بجهد وجد كبيرين لاستمرار هذا المنحى وتشجيع هذا الاتجاه واستعمل فى سبيل ذلك سبلا ووسائل شتى ·منها تشجيع الشباب النابه على دراسة الثقافة الليبرالية واصولها وابعادهم بكل قوة عن دراسة العلم والتكنولوجيا ·· فكانت فرص الترقى فى الوظائف العامة وفرص الوصول الى مراكز القيادة والتاثير معقودة لمن يتخصص فيما يعرف بالانسانيات اواللاتينية واليونانية ودراسة القانون ·· ويبقى من يتخصص فى العلوم ثانويا اومهملا وبخاصة من ناحية تحقيق الذات واعتراف المجتمع به وبقدره · فهل يستغرب والحالة هذه ان يبتعد النابهون الطموحون عن دراسة العلم والتكنولوجيا ؟ اليس غريبا الافتراض بان الذى يصلح لمنصب الوزارة اوالسلك الدبلوماسى اوالزعامة اوالنيابة هو فى الغالبية الساحقة من الحالات · من غير العلماء والتكنولوجيين ؟ والامثلة فى هذاالمجال كثيرة جدا ·

كل هذا ادى الى تعميق الهوة بيننا وبين الحضارة العلمية وابعدنا عن تيارها وصرنا ندور فى حلقة مفرغة · فقد كانت ظواهر الاشياء تخدعنا وتبدى لنا اننا نسير فى الطريق القويم ولكننا لا نلبث ان نواجه بواقع مرير اليم كان سببه تخلفنا الحضارى العلمى ولكننا عن جهل اوتجاهل كنا دوما فى مثل هذه المواقف

نتهرب من مواجهة الحقيقة ونلجأ للتبرير فنختلق كبش فداء نحمله اسباب فشلنا او هزيمتنا . واسوأ ما فى الامر اننا كنا باستمرار نصدق تبريراتنا .. وبالطبع كان هذا سببا فى اننا لم نعالج العلة وبقينا لانخرج من فشل الا لنقع فى كارثة .

ولعل خير سبيل لانارة الطريق امامنا وتسليط الضوء على العلة الحقيقية هو فى دراسة الامثولة الحية . وليس هناك من امثولة حية اوضح من امثولة اليابان . واغرب مايستغرب هو كيف عنينا عن هذه الامثولة الواضحة والعبر التى يمكن استخلاصها منها .

لقد كانت اليابان تغط فى سبات اعمق من سباتنا اثناء عهود التخلف والانحطاط . لا بل كانت فوق ذلك فى عزلة تامة لاتكاد تدرى عن العالم من حولها شيئا . وفى نفس الوقت الذى انفتحنا فيه على الغرب اتصلت به اليابان ايضا .. ولكن اليابان تمكنت بسرعة مذهلة من تبين الفرق بين الحضارة الغربية ( الليبرالية ) والحضارة العلمية التكنولوجية .. كما تبينت بوضوح ان سر قوة الغرب تكمن فى الحضارة العلمية التكنولوجية لا الليبرالية . ونتيجة لوضوح هذه الرؤية نجد ان الثقافة اليابانية لم تتاثر بشكل يذكر بالحضارة الغربية الليبرالية . بينما اخذت تعب من الحضارة العلمية التكنولوجية عبا وتتمثلها . كما يتمثل الجسم الطعام المهضوم الممتص . بل وتتبناها فاذا بها اليوم تشارك الدول الغربية المتقدمة علميا وتكنولوجيا تبوأ القمة والصدارة . لا بل وتسبقها فى ميادين عدة . أوليست هذه الامثولة واضحة لكل ذى عينين ؟ أوليس السبيل الذى احتطته

اليابان سبيلا يمكننا ان نختطه دون عناء البحث المضنى وتلمس السبل الاخرى واحدا بعد الاخر ؟

لقد اوضحنا الفرق بين الحضارة الغربية ( الليبرالية ) والحضارة العلميةالتكنولوجية وذكرنا بعضا من المميزات التى تميز الاخيرة عن الاولى وعن غيرها مما سبقها من حضارات ٠ونحب ان نوكد هنا ميزة اخرى من ميزات الحضارة العلمية وهى انها ليست متضادة مع اية حضارة اخرى ٠ بل على العكس من ذلك يمكن للحضارة العلمية التعايش مع كل حضارة اخرى ٠ فالاخذ بها لا يعنى بالضرورة الغاء حضارة المجتمع الذى اخذ بها ٠ فهى كحضارة عالمية لا تجب وجود حضارة ثانية بجانبها سواء اكانت هذه الاخيرة غربية او عربية اسلامية او يابانية ٠٠٠الخ ٠٠ ولكن التعايش بين الحضارة العلمية واية حضارة اخرى ٠ حتى يكون ناجحا وموصلا الى الهدف ٠يشترط ان لا تتدخل الحضارة القديمة ٠ايا كانت ٠ فى اسلوب فكر او عمل او انجازات الحضارة العلمية ٠ فليس صحيحا ان تحاول اية حضارة قديمة صبغ الحضارة العلمية بصبغتها ٠ كما لا يمكن للحضارة العلمية ان تعمل باسلوب غير اسلوبها فى التفكير والبحث والتطبيق ٠ ومحاولة المزاوجة هذه عبث لا جدوى منه ٠وفرق كبير بين التعايش والمزاوجة ٠

وليس فى هذا التعايش اية ازدواجية لو ان الحضارة القديمة توافقت وانسجمت مع الحضارة العلمية ٠ولعل دعوة ( سنو C.P. Snow ) فى كتابه " ثقافتان " توكد ضرورة هذا التوافق والانسجام لمصلحة المجتمع نفسه ٠

ونعود في هذا المجال الى امثولتنا الحيه ـ اليابان ـ لندلل على امكان التعايش ما بين الحضارة القديمه والحضارة العلمية فقد استطاعت اليابان تحقيق هذا التعايش والتوافق رغم الاختلاف الهائل بين حضارة اليابان القديمة والحضارة العلميه الحديثة . وعلى ذلك ترى كامرءعادى العالم او التكنولوجى اليابانى يعيش نهاره منغمسا في العلم والبحث العلمى واسلوب التفكير العلمى حتى اذا ماعاد في المساء الى بيته انقلب الى اساليب العيش في القرن الثامن عشر وسط جو دينى ومناخ حضارى يابانى بحت .

وليس في ذلك كما يتوهم البعض اى انقسام في شخصية العالم اليابانى . طالما استطاع منع تراثه الثقافى من التدخل في تفكيره العلمى واعطى كلا حظه في وقت منفصل عن وقت الاخر .

وهنا لا بد من الاشارة الى موضوع هام يشغلنا كثيرا ويزيد في بلبلتنا الفكرية . فنحن بدلا من ان نعايش بين الحضارة العلمية ومعتقداتنا الدينية نحاول ان نطوع الواحدة للاخرى . فنجد الكثيرين من علمائنا ورجال الدين يحاولون اثبات الحقائق الدينية بالفرضيات والنظريات القائمه حاليا . ويذهبون في ذلك مذاهب شتى ، معتقدين انهم بذلك يخدمون الدين ويعلون شأنه . وهنا في رأينا يكمن الخطأ الكبير . وهو خطأ منبعث من سوء فهم معنى العلم اصلا ذلك ان الحقائق العلميه كما يعرف كل مشتغل بالعلوم حقائق نسبية قابله للتحوير والتغيير والنقد ـ وهى في اساسها ليست حقائق

بالمعنى الفلسفى بل تفسيرات لظواهر طبيعية او غير طبيعية بحيث تنتظم هذه الظواهر تحت التفسير . وعلى ذلك تظل هذه " الحقائق العلمية " قابلة للاستخدام الى ان يظهر مزيد من هذه الظواهر تعجز عن تفسيرة او يشذ بعضها عن ذلك التفسير ... وعندها تحور اوتعدل اوتنقض اساسا ويؤتى بغيرها .

اما الحقائق الدينية فهى على العكس من ذلك حقائق مطلقة تعتمد على الايمان ولاتقبل الجدل اوالبحث والتجريب وما ينشأ عن ذلك من تعديل وتطوير وتغيير .

من هذا التناقض الكامل بين مفهوم الحقيقة الدينية والحقيقة العلمية ومن محاولة هؤلاء رغم ذلك تطويع الاولى والثانية ينبع الخطأ الذى يقعون فيه . ان محاولة اثبات حقائق الدين المطلقة بحقائق العلم النسبية المتغيرة خطأ فادح .والخطأ هنا دينى قبل ان يكون علميا .اذ كيف يحاول اى من هؤلاء اثبات ما يؤمنون بانه من عند الله سبحانه وتعالى برأى فلان اوتجارب علان اوبنظرية قائمة ؟ وهنا أيضا نحب ان نؤكد ان لاتعارض بين ان يؤمن الفرد دينيا بامر وان ينعكس ايمانه به على اخلاقه وسلوكه الاجتماعى والانسانى وبين ان يفكر علميا فى امور اخرى وان يبحث باسلوب علمى ويطبق نتائج الابحاث تطبيقات تكنولوجية وطبية وزراعية وغير ذلك لخير الانسانية جمعاء ..اذ ان المهم الا يدخل المرء الدين فى العلم ولا اسلوبه الفكرى . فاساس العلم التشكيك واساس الدين الايمان .

وقد سئل اينشتاين مرة كيف توصلت الى نظرية النسبية ؟ فاجاب " بتحدى الواقع الذى كان العلماء مجمعين عليه " . والمهم ان لا يدخل المرء العلم فى الدين لان فى ذلك اساءة بالغة للدين وكل مافى الامران يسير الاثنان جنبا لجنب كل يعمل فى مجاله وميدانه .

وهناك سوء فهم اخر شائع بالنسبة للحضارة العلمية التكنولوجية يتبدى فى الفصل فصلا تاما بين العلم كاسلوب تفكير وطرق بحث من ناحية وبين التطبيق التكنولوجى لنتاج العلم والبحث العلمى . ونرى نماذج من هذا الفصل فى المجتمعات النامية وبخاصة المجتمعات العربية .

وقد يكون مفيدا ان نعيد القول بان العلم يعمل باركان ثلاثة : أسلوب التفكير العلمى ، وطرق البحث العلمى ، والتطبيق التكنولوجى العلمى . ويبدو واضحا ان الركنين الاول والثانى متلازمان ويجب ان يكونا كذلك . اذ ان اهم جزء فى اسلوب التفكير العلمى هو البحث والتجريب العلمى . وليس عالما بالمعنى الصحيح من يفصل بينهما . ويعمل هذان الركنان على تطوير فهم الانسان لبيئته باوسع معانيها ولطبيعة الظواهر التى تتجلى فيها والقوى المتفاعلة خلالها . ولا بد لنا من القول بان كل الثقافات وبالتالى الحضارات القديمة حاولت تفسير هذه البيئة ومافيها . الا ان كل واحدة منها اعتمدت تفسيرا يختلف عن تفسير غيرها بدرجات متفاوتة . ولذا كان فهم الانسان للكون المحيط به عن طريق هذه الثقافات والحضارات

المتعاقبة مختلفا ومتناقضا احيانا ٠ اما فهم الانسان للكون ومافيه عن طريق العلم فهو فهم موحد يتخطى الفواصل الجغرافية والعرقية واللغوية والدينية ٠

اما الركن الثالث فيعمل على ان يستخدم الانسان الفهم والمعرفة اللذين حصل عليهما من الركنين الاولين ٠ فى صنع تطبيقات تكنولوجية لرفاه الانسان وفائدته المادية ولزيادة امكاناته فى البحث عن المعرفة العلمية بشكل افضل ٠

ويجب ان يكون واضحا ان الحضارة العلمية لاتقوم الا باركانها الثلاثة متعاقبة ومتلازمة فى كل منحى من مناحيها ٠من هذا المنطلق يكون الفصل بين هذه الاركان خطأ كبيرا ٠ كما ان الاهتمام باى منها بدرجة زائدة على حساب الاخرين خطأ كبير ايضا ٠ وفى المجتمعات العربية اهمال كبير للركن الثالث ـ التطبيقى التكنولوجى ـ يفوق اهمال الركنين الاولين ٠ ولعل ذلك راجع فوق انعدام المناخ العلمى فى المجتمع كله الى استمرار عزوف الناس بعامة عن العمل اليدوى واعتبار من يعمل به اقل مستوى من وجهة اجتماعية ٠ حتى ولو كان دخله منه اكبر بكثير من دخل ذوى ( الياقات البيضاء )" حسب ما اصطلح عليه ٠

وقد ادى هذا فى مجتمعاتنا العربية الى امرين هامين :
الاول :تعطيل اقتباس الحضارة العلمية نتيجة هذا الاهمال ٠
والثانى : ملل الشباب الذين يعدون علميا من قلة جدوى ما يعملون بسبب هذا التعطل مما ادى الى تحولهم بسرعة عن ميدان تخصصهم

الى ميادين اخرى • وبذا ضاع جهد واستثمار بشرى هام على المجتمع

ونحب ان نلقى بعض الضوء على زوايا مما ذهبنا اليه بايراد امثولة حية اخرى من تاريخ الحضارة الحديثة :

كانت بريطانيا اول دولة اهتمت بالعلم باركانه الثلاثة •وكان ذلك فى القرن الثامن عشر واتخذ مظهر الثورة الصناعية كما تسمى تاريخيا وعلى ذلك يمكن ان نحدد بداية الحضارة العلمية الحديثة اساسا بهذا الاهتمام وبدء تلك الثورة •

وقد اتخذ اهتمام بريطانيا بالعلم مظهرين هامين :

الأول : هو الاهتمام الرسمى بالعلم وقد تمثل بصدور ارادة ملكية بانشاء الجمعية الملكية فى لندن فى القرن السابع عشر وكان من بين اعضائها آنئذ " نيوتن " وآخرين من علماء ذلك الزمان •وواضح ان فى تبنى الدولة على اعلى المستويات انشاء الجمعية العلمية الملكية واعتبار عضويتها شرفا كبيرا دلالات واضحة على الاهتمام بالعلم فى ذلك الوقت• بينما لم تكن عندها اية دولة اخرى تفكر بمثل ذلك •

والثانى : انه بسبب تعدد الحروب فى اوربا فى نفس تلك الفترة هاجر عدد كبير من الصناع المهرة من اوربا المضطربة الى بريطانيا المستقرة • وفتح البريطانيون المجال لهؤلاء للعيش بامان • والعمل فى مهنهم وحرفهم بحرية • وهكذا انتشرت اصول هذه الصناعات والحرف متوطنة فى المجتمع البريطانى قاعدة

تكنولوجية استطاعت التجاوب مع الافكار العلمية التى كان العلماء يخرجون بها من ابحاثهم ومختبراتهم العلمية • وبذا اكتملت اركان الحضارة العلمية وبدات بالنمو والازدهار •

ويسجل التاريخ الحديث ان بريطانيا باخذها الحضارة العلمية بكل اركانها وعدم مقاومة اثرها فى المجتمع رغم ان البريطانيين مشهورون بالمحافظة • سرعان ما اصبحت اكبر دولة صناعية فى العالم خلال القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر • وجنت ثمار ذلك قوة وسيطرة وثروة • كما ارتفعت الى مستوى حضارى رفيع • وفى اعتقادنا ان انتصارات بريطانيا الحربية فى تلك الفترة على قوى اوربية اقوى منها عدة واكثر عددا لم تكن انتصارات حربية فقط بل كانت انتصارات حضارية ايضا من وجهة نظر الحضارة العلمية الحديثة • بمعنى ان عنصر الحضارة العلمية الحديثة كان فعالا فى هذه الانتصارات اكثر من اى عامل آخر •

ولعلنا فى ضوء هذا الاعتبار نستطيع ان نفهم بعمق اكثر سر الموجة الاستعمارية التى انطلقت من اوربا الآخذه باسباب الحضارة العلمية الحديثة ـ وفى مقدمتها ـ بريطانيا ـ والتى كان من نتائجها ان استعمرت هذه الدول معظم اجزاء العالم المتخلف • وبنفس القياس يمكن الشك فى ان تركيا العثمانية او الرجل المريض كما كانوا يسمونها كانت تشكو من قلة فى الرجال او السلاح او المال او الشجاعة قدر شكواها من التخلف الحضارى بمفهوم الحضارة العلمية الحديثة •

وكانت الدولة الثانية • بعد بريطانيا • التى تفهمت ابعاد الحضارة

العلمية الحديثة • هي المانيا • فقد كان الالمان اكثر الاوربيين فهما لسر المعجزة التى تمت فى بريطانيا واكثرهم اصرارا على الاخذ باسبابها بجد وحسن تنفيذ •وبذا انسابت الديناميكية الحضارية الى المانيا وكان اهتمام الدولة والمجتمع بالعلم والتكنولوجيا السبب الرئيسى فى ذلك كما ساعد عليه دقة الالمانى فى عمله وحبه لاتقان مايعمل • ويظهر الاهتمام الذى اشرنا اليه فى ان مديرى المؤسسات الصناعية فى المانيا فى تلك الرحلة كانوا علماء Herr Doktor فتحسنت مستويات الصناعة وصارت تدخل التطويرات والاختراعات والمكتشفات بسرعة الى اساليبها • وانعكس ذلك على الامة قوة وعزة وسوددا • وقد ترك هؤلاء المديرون العلماء اسماؤهم محفورة فى ميادين العلم والاختراع والصناعة •بما قدموه من اكتشافات علمية وتطويرات تكنولوجية • وهكذا نرى اسماء لامعة مثل " رودلف ديزل وكارل جاوس وفيرنر سيمنس ويوستن فون ليبيج وروبرت بنسن " وكلها اسماء مخلدة فى الالات والاجهزة والمبادىء العلمية •

واليوم نجد الاهتمام بالعلم والتكنولوجيا يصل حدودا لم يصلها من قبل فى الولايات المتحدة وروسيا واليابان وفرنسا ودول العالم المتقدم • وقد قامت الولايات المتحدة عن سبق عمد وتخطيط باغراء العلماء النابهين من اية دولة كانت على الهجرة اليها والعمل فيها • حتى ان هذه الهجرة اصبحت لما بلغته من مدى تمثل ظاهرة جديدة اطلق عليها اسم الاستنزاف العقلى • وقد خدمت هذه

الهجرة الولايات المتحدة خدمات جلى كما اسهمت فى تمكينهـا من تبوأ مركز مرموق فى الحضارة العلمية الحديثة ٠ وقد ترجـم ذلك الى مركز مرموق من حيث القوة والسيطرة فى ميادين عـدة وفى نفس الوقت لم تبخل الولايات المتحدة فى الانفاق على الاعداد العلمى والبحث العلمى والتطبيقات التكنولوجية ٠

وكذلك اهتمت روسيا بالعلم اهتماما كبيرا وخططت لاكثـار المعاهد العلمية وتحويل الطلبة النابهين لدراسة العلـوم والتكنولوجيـا ٠٠

# الفصـــــل الثانـــــى

## مشكلة الحضارة والمدنية والثقافـــــة

# الفصـــــل الثانـــــى

## مشكلة الحضارة والمدنية والثقافـة

١ ـ معنى الحضارة قديما وحديثا ٠
٢ ـ المدنيـــــــــــة ٠
٣ ـ الثقافـــــــــــة ٠

١ ـ نحن معذورون عندما نسىء فهم ( معنى الحضـــــارة ) فلقد نقلناه عن امم مازالت مختلفة فى تصورها له ٠ ومعنى اصح فى تصورها للكلمتين الدالتين على معنى الحضارة ٠ وبالرغم من ضيق المقام فى هذه الصفحات فاننى استأذن القارىء فــى تخصيص قليل منها للتحدث عن تاريخ الكلمة فى اللغات الاجنبية وأستأذنه ايضا فى الاشتراك معى فى اختيار تعريف مناســب من بين التعاريف المائة والواحد والستين تعريفا التى جمعها العالم الانثروبولوجى الالمانى الامريكى " الفريد كروبر" (١٨٧٦ ـ ١٩٦٠ ) ٠

وكلمة حضارة العربية ترجمة موفقة للكلمة الفرنسيـــــة Civilization التى عرفناها قبل ان نعرف مرادفاتها فى اللغـــات الاجنبية الاخرى٠ ويقول " المعجم الوسيط" ان الحضارة او ـ الحضارة : تعنى الاقامة فى الحضر ٠والحاضرة هى المدينة التى يقيم فيها رجال الحكومة ٠وهذه الكلمة لاتختلف كثيرا وكلمة اخـرى

نحاول احيانا ان نتصورها مغايرة فى المعنى لكلمة ( حضارة )
هذه الكلمة هى " مدنية " فالمدنية تبعا للمعجم الوسيط ايضا
تعنى الحضارة واتساع العمران . وكلمة " تمدن " تعنى عاش حياة
أهل المدن واخذ باسباب الحضارة .

وفى نفس الوقت الذى ترجمنا فيه كلمة Civilization
الى كلمة حضارة فاننا اتبعنا ايضا التصور الفرنسى عند ترجمتنا
لكلمة Culture فقد ترجمناها الى كلمة " ثقافة " من كلمة
ثقف فلان صار حاذقا فطنا . والثقافة بمعنى العلم والمعارف
والفنون التى يطلب الحذق فيها . هذا المعنى قصده " فولتير
بال moeurs et esprit وقصده ايضا " فوفنارج " عندما تحدث
عن حالة صقل العقل والذوق والفكر . وعندما تحدث عن المعارف
الفنية والعلمية والفلسفية القابلة للتعلم .

ولو ان مفهوم كلمتى " حضارة " وثقافة ظل بلا تغيير
اى ظل على حاله فى النصف الاول من القرن التاسع عشر
لهان الامر . وماكنا بحاجة الى اى مراجعة لهاتين الكلمتين اللتين
احتدم الخلاف حولهما . وبخاصة بعد ان تدخل علم الانثروبولوجيا
أو " علم الانسان " الذى كان علما حديث العهد اسسه " جوستاف
كليم Klemm ( ١٨٠٢ـ١٨٦٧ ) فى المانيا فى منتصف القرن
التاسع عشر . فقد اهتم هذا العالم بكلمة culture التى
اعتدنا ان نترجمها " ثقافة " وأبقى جانبا ضئيلا من مفهومها
السابق الدال على زيادة الصقل والارتقاء وجعلها تدل ايضا

على الظواهر الاجتماعية عند اى جماعة من مهارات سلوكية ودين وفن وعلم وانظمة للسلام والحرب .وقد تاثر فى هذا الاستعمال باستعمال سابق عابر جاء به الشاعر المؤرخ الالمانى " هورد (١٧٤٤ـ١٨٠٣) .

وربما قيل : ان علم الانثروبولوجيا قد اقحم نفسه فى مشكلة كبيرة بلا مبرر . فهذه المسائل يدرسها علماء الاجتماع الفرنسيون تحت عنوان ( الظواهر الاجتماعية faits sociaux ولم يكن هناك مايدعو الى الازدواج وتكرار البحث .ولكن علماء الانثروبولوجيا الذين كثروا بعد ذلك فى المانيا وانجلترا والولايات المتحدة ردوا على هذا بان المجتمع الواحد قد يتبع عدة حضارات ( وهى الترجمة التى نفضلها فى هذا المقام لكلمة culture ) .. وهناك مجتمعات كثيرة تتبع حضارة واحدة . و" الحضارة " انسب فى تفسير سلوك الانسان من الرجوع الى البيئة الجغرافية او الجنس فقد اوحى هذان العاملان الثابتان "البيئة والجنس" بوجود عنصر ثابت لا يتغير له اثر حتمى على السلوك الانسانى . فكان بعض المفسرين يرجعون اختلاف السلوك الى اختلاف الجو والى خصب الارض وجدبها . ونسوا ان الانسان قد نجح فى ابطال مفعول هذه البيئة الطبيعية اعتمادا على الاضافات التى خلقها بنفسه فى شتى نواحى الحياة .والتى تمثل اسلوب الحياة عند اى جماعة انسانية . وفى مقدمتها اللغة والقيم الاخلاقية والجمالية والدينية . هذه المقومات الحضارية انفع من " البيئة " أو الجنس" فى تفسير السلوك الانسانى .

ولا يجوز اعتبارها ظواهر اجتماعية او نفسية فحسب لسبب آخر ، لانها لاتشتمل على العلاقات الاجتماعية العادية بين الافـــراد او الغرائز ، او الانفعال المنعكسة والخصائص البيولوجية البشرية ولكنها تضم ايضا علاقات الانسان بخالقه وتصوراته للغيب ، والاساطير التى ابتكرها للتعبير عن امانيه ومخاوفه ٠وهذه الظواهر الحضاريـة التى تغمرنا اشبه بالهواء الذى نستنشقه فقد ولدنا فيهـــــا ، واستجابتنا للمواقف المختلفة متأثرة بها ٠ ولا نشعر بهذه المؤثرات الحضارية الاعندما نصادف حضارات مختلفة عن حضارتنا : كحضـــارة البدائيين مثلا ٠ومن هنا يصح القول بان الكائنات الانسانية تتميز على الكائنات الاخرى بقدرتها على خلق الحضارة ودعمها ٠ فلكــل جماعة انسانية حضارتها المميزة التى خلقتها وانتقلت من جيــل لآخــر ٠ وينظر كل فرد الى مقومات الحضارة نظرة تقديس ٠٠٠ ويعاقب كل من يخالف انماطها السلوكية عقابا صارما ٠وان كانت المجتمعات لاتنظر الى مخالفات القيم الحضارية نظرة واحـــدة فهناك هرم للمحرمات : اعلاها المحرمات المطلقة التى لايتسامح فيها المجتمع مثل سفاح القربى ٠ وادناها الزاما المحرمات الـتى لايتاثر بها المجتمع كثيرا او قليلا كارتداء رباط العنق فـــى حضارتنا المعاصرة ٠

ولاتفرض القيم الحضارية عشوائيا ٠ فهى مرتبطة فى كثير من الاحيان باختلاف الجنس والسن فهناك قيم للرجال واخرى للنساء وقيم للكبار واخرى للاطفال ونحن اذا حرمنا مجموعة من الاطفـــال من رعاية البالغين ٠واذا افترضنا انهم سيقدرون على العيش ٠ فان

علينا الا نتوقع ظهور اى سمات لديهم من سمات السلوك التى تميز بها الاباء فهم سيحرمون من اللغة ومن الادوات والمعدات التى ورثها آباؤهم عن اسلافهم . ومن الفنون ونظام الدولة . وكل المميزات التى تميز الانسان عن باقى الكائنات . فهم سيأكلون . وقد يتزاوجون . ويعرفون الهرب من القيظ والبرد . وبعبارة اخرى سيقتصر سلوكهم على الافعال الغريزية العشوائية . انهم سياكلون ولكن طريقتهم فى الاكل ومايأكلون ستخالف طريقتنا التى نعرفها بتاثير حضارتنا المتوارثة .

ولا يصح الرجوع الى اى كائنات اخرى غير الانسان لمعرفة اصل الحضارة كما يحدث احيانا فى دراسات النفس والمجتمع . لان الحضارة ميزة انسانية تمتع بها الانسان بفضل مرونة جهازه العصبى وتعقده ، الذى خلق لديه قدرة على الاستدلال والاستنتاج . وخلق له ذاكرة قادرة على الاحتفاظ بشتى التفاصيل . وعلى استخدام رموز شفوية هى اللغة . هنا يجب الا نخلط بين خلق الحضارة والقدرة على حل المشكلات التى نسبها علماء النفس الى كائنات راقية مثل الشمبانزى التى تعجز عن بلوغ المراحل العليا من السلوك الانسانى بسبب قصور ذاكرتها . فما لم يقم اسيادها بتوجيهها توجيها متواصلا فانها تنسى كل مااكتسبته هذه الكائنات عاجزة عن خلق لغة بالمعنى الصحيح واللغة كما نعلم هى الاساس الاول لقيام حضارة . نعم اننا نستطيع ان نكتشف اساسا فطريا يشترك فيه الانسان وباقى الكائنات ولكن هذا الاساس يخضع

خضوط كاملا للحضارة السائدة لاننا لا نعرف جماعة انسانية بـلا حضارة . فالمجتمع الانسانى شئ اكثر من مجرد تجمع يعبر عن سلوك فطرى وغريزى . وبعبارة اخرى : المجتمع البشرى جماعة من البشـــر + حضاره . والحضارة تضع بصماتها على سلوك كل فرد . وان كان هذا لا يعنى ان الحضارة تقضى على مميزات الافراد . وكانها تدرك انها من صنع الاخيار من هؤلاء الافراد .

ولكن كم هى شاقة مثل هذه الدراسات لانها لا تتعامل هى ووثائق تاريخية كتبها انسان يقارن فى نوعية حضارته ولكنها تستنبط مـــن مخلفات صماء ولا تزيد معرفتنا فى هذا المجال عن مجرد التخمينات . ومن امثلتها عدد الحضارات التى عرفها البشر . فبعض يقول : ان كل الحضارات قد انحدرت من حضارة واحدة وبعض ثان يرفض هذا الزعم ويرتضى الزعم الاخر ان الحضارات الانسانية قابلة للحصر وانها تتمتـــع ببعض الاتصال والاستمرار والمؤرخون وعلماء الاجتماع والمفكرون يختلفون ايضا فى تحديد عدد الحضارات فمنهم من اكتفى بأربع حضارات او باحدى وعشرين حضارة . والشكل التالى يوضح ما يقال انما قرب تصنيفات الحضارة الى الموضوعية .

الصين | الهند | بابل | مصر | بيرو | الغربية

٣٠٠٠ ق.م
٢٠٠٠ ق.م
١٠٠٠ ق.م
٠
١٠٠٠م
١٩٥٠م

أولي تصنيف موضوعي للحضارات التاريخية العليا

ولكن اغرب ماصادفنى من تفسير تاريخى للحضارة هو التفسير الذى جاء به الاديب والناقد الفنى الانجليزى "كلايف بل" . الذى اكتفى بثلاث حضارات " (الهيلينية او اليونانية . وعصر النهضة والتنوير " ) وكان المقياس الذى استند اليه عجيبا . لانه ذكر لنا انه يعترف فقط بالحضارات التى يتقن لغتها . وهكذا اختفت من تصنيفه حضارات مصر وآشوريا وفارس والهند .

وبوجه عام . اذا تركنا جانبا هذه التصنيفات التاريخية التى لاتنتهى ـ فاننا بفضل علمين ازدهرا فى القرن التاسع عشر هما التاريخ والانثروبولوجيا اصبحنا على علم افضل بالحضارات البدائية ويكفينا كدليل على ابتعاد نظرتنا عن التزمت والتعالى على البدائيين اننا ارتضينا ان ننسب الحضارة الى هؤلاء البدائيين وبعد ان درسنا منجزاتهم اعترفنا باننا مدينون لهم بالفضل فى الكثير من البدايات الحضارية التى عرفوها قبلنا بامد طويل وهكذا صححنا تصورنا الخاطىء بان الحضارة الغربية الحديثة هى اسمى الحضارات بلاقيد وشرط . فالانسان البدائى مثلنا لايتعلم كما نتوهم . من المحاكاة وحدها اومن التجربة الفردية . ولكنه يتعلم من التجارب التى انتقلت الى جيله الحاضر من مئات الاجيال السابقة .

فكل القبائل البدائية قد عرفت كيف تصنع الخزف وابتكرت مصايد وشباكا لصيد الاسماك . وصنعت الالات الموسيقية لامتاع آذانها . وزينت الاشياء حتى تزيدها جمالا وبهاء . وكل اجناس

البشر لم تكتف بعالمها المرئى المسموع بل ساقها خيالها بعيدا الى عالم الارواح والالهة التى تستنجد بها فى محنها . واليوم لم نعد ننظر بازدراء الى حضارة العصر الحجرى ويكفيها فخرا انها عرفت كيف تسخر النار لاغراضها . ولا احد يعرف كيف جاء هذا الالهام او الالهام الاخر للانتفاع بقوة البخار الناجم عن غليان الماء اذ كيف عرف الانسان فى هذه الحقبة الانتفاع باكتشافه فى طهو الطعام وحفظه فاذا انتقلنا الى ابتكار ثالث عرفته كل الحضارات وهو اختراع اللغة ايقنا مدى النفع الذى عادت به اللغة على السلوك الانسانى وكم كان الانسان عبقريا عندما عرف التحكم فى عضلات اجهزة النطق . وابتكر رموزا شفوية تعبر عن الاختلافات الدقيقة فى النطق . ثم رتب هذه الرموز بطريقة موضوعية لنقلها من السلف الى الخلف حتى اصبحنا الان لا نصادف قبيلة بدائية لا تملك لغة معقدة ومفردات تدل على ادق المعانى .

ان ما نجهله عن حضارة العصر الحجرى اعظم بكثير مما وقع فى ايدينا من هذه الادوات من مخلفات هذا العصر الهام . فنحن لا نعرف انظمته الاجتماعية وقوانين زواجه ودينه وتراثه الشعبى وقد يظن ان الضرورة هى التى ساقت الانسان الى الاختراع .. ولكن الضرورة تتناصر هى وحية الانسان وحيويته . ولذا فاننا لا نعجب عندما نعرف ان الانسان قد ابتكر العجلة فى اوربا وآسيا خلال العصر البرونزى . ثم استعملها كبكرة لرفع الاثقال ولكنها لم تعرف فى الامريكتين حتى جاء كولومبس . ولم تعرف حتى فى بيرو .

ذات الحضارة العريقة التى شيدت معابد من احجار ثقيلة بعضها يزيد وزنه على عشرة اطنان ونقلت هذه الاحجار دون اعتماد على العجلة .

وابتكار " الصفر " فى الرياضيات قد يبدو فى نظرنا اختراعا هينا . فلم يعرفه اليونانيون والرومانيون . ولكننا اذا تمعنا فيه فسنراه اختراعا عبقريا ساعد على الاقلال من رموز الاعداد . ومن الادلة التاريخية عرفنا ان اول من ابتكره هم هنود المايا بهندوراس . جنوب جواتيمالا بامريكا الجنوبية . ونقل الاختراع الى الهند بعد خمسة قرون . ثم انتقل الى العرب الذين عرفوه لاوربا .

فالحضارات التى ندعوها بالعليا مدينة بالفضل فى اشياء جوهرية للحضارات التى نسميها بدائية . ويوم يماط اللثام عن كل ماهو مجهول من تاريخ الحضارات البدائية سيتبين لنا مدى دين الانسان العصرى الحديث لحضارات كنا نزدريها حتى عهد قريب مع تشبثنا بالكثير من معتقداتنا الجامدة واهوائنا مما صعب التفاعل بين الحضارات وعلى سبيل المثال لا الحصر : نذكر مثلا معروفا هو تمسك الانجليز بنظامهم العتيق فى الموازين والنقود والمكاييل والمقاييس حتى عهد قريب وكان المفروض ان ينقلوا عن جيرانهم النظام العشرى . ولكن تاريخ الحضارة ليس منطقيا . ومن العسير الاعتماد فى فهمه على الاستدلال والاستنباط لان ابسط الاشياء قد ظل خافيا حتى عندما دعت الضرورة المنطقية اليه وكما تعتز الحضارات العليا بتراثها الحضارى . فان الكثير من القبائل

البدائية تتشبث بنظمها الحضارية وتعرب عن زهدها فى حضارة البيض ولا تسلم بمفاخر هذه الحضارات العليا او بانها جاءت بافضل الحلول لمشكلات الحياة . وقد حدث الكثير من الاحداث المؤسفة فى صراع الحضارات . ومن اشهرها محاولة البيض فرض نزعاتهم وقيمهم الحضارية على الهنود الحمر بلا مبرر . ولم تندرس عادات هؤلاء الهنود الحمر الا بعد فوات الاوان واتضح انها غنية فى معتقداتها ومبتكراتها .

انا عندما نتامل تاريخ الحضارات نعرف ان مفخرة من مفاخرها هى ابجدية الكتابة : فهل نعرف انها من صنع الحضارات السامية ثم نقلها الفينيقيون الى اليونان والرومان واستغرق هذا الاجراء قرونا طويلة ؟ وفكرة العقود فى العمارة عرفها اهل بابل قبل المسيحية بثلاثة الاف سنة . ولم يعرفها اليونانيون . والامر بالمثل فيما يتعلق بالاطعمة . فلها تاريخ طويل بين ان الحضارات البدائية قد ذاقت ما لذ وطاب قبل ان يعرف الاوربيون تذوق الاطعمة . واليوم يقارن بين الحضارات الصناعية والحضارات الزراعية . ويقال ان التركيز على الزراعة واغفال الصناعة من علامات التخلف . وينسى اصحاب مثل هذه المعتقدات ان ظهور الزراعة كان مفخرة للانسان الذى استطاع اكتشاف بذور وحشية فى الطبيعة واعاد زراعتها وتعهدها بالرعاية فانبتت نبتا حسنا وثمارا طيبة المذاق مختلفة عن الثمار الوحشية . ومن هنا تغيرت نظرة الانسان للطبيعة ولم يعد ينظر اليها نظرة العبد الى السيد . واتجه الى تسخيرها لاغراضه . والى اعادة تشكيلها .

وهكذا بدات الحضارة وقد وقفت اللغات الاوربية عندما اختارت

كلمة Culture بمعنى "الفلاحة" مرادفة لمعنى الحضارة باعتبار ان الخطوات التى اتبعت فى الفلاحة هى نفس الخطوات التى تتبع فى صنع الحضارة .

٢- ولكن علماء الغرب لم يتفقوا على اعتبار كلمة culture مرادفة للحضارة . فهناك كلمة اخرى هى Civilization المأخوذة من اصل مختلف . لانها تركز على الدماثة والخصال الاجتماعية المستحبة التى ظهرت بظهور المدن . واتباعا لهذا التعريف لاتصلح كلمة "حضارة" التى تنسب الى حياة المدن او الحضر للتعبير عن خصائص ما سميناه بالحضارات البدائية ونصادف فى هذه المشكلة ثلاثة آراء :

الرأى الانجليزى وينسب كلمة civilization الى الحضارات العليا وحدها . اما الحضارات البدائية فقد ترك لها كلمة culture واحيانا تطلق كلمة Culture على الحضارات فى كل مستوياتها وانواعها وتطلق كلمة civilization على الحضارات العليا من قبيل التخصيص .

اما عند الالمان والامريكان فانهم يستعملون كلمة Kultur الالمانية و Culture الانجليزية للدلالة على الحضارة بالمعنى الذى فهمناه . ونستعمل كلمة Civilization للدلالة على الجوانب الماديةو التكنولوجية فى الحضارة . وغالبا مايستعمل الالمان كلمة Civilization من قبيل الانتقاص او للدلالة على ان الحضارة فى طريقها الى الاحتضار او الافلاس .

واخيرا يجيء دور الفرنسيين الذين يستعملون كلمة Civilization للدلالة على الحضارة في كل مستوياتها بنفس المعنى الذي يقصده الالمان بـ Kultur ، أما Culture فتعني كلمة ثقافة بالمعنى الشائع عندنا في العربية .

وفي اعتقادي انه لا داعي لان ننقل الاضطراب الذي صادفته الكلمتان الافرنجيتان الى لغتنا العربية . فمن واجبنا ان نكتفي بكلمة حضارة كترجمة للكلمتين Culture و Civilization ولنتجنب الاتجاه الذي يحدث احيانا في بعض الكتب العربية لعلم الاجتماع وعلم الانثروبولوجيا . عندما تترجم كلمة culture الى ثقافة . فيقال ثقافة الاسكيمو او ثقافة التروبيراند . لان المعنى في هذه الحالة يبتعد ابتعادا كبيرا عما يقصده هذان العلمان لان الثقافة — كما سنرى ليست عملا جماعيا . او شيئا نرثه من الاسلاف ولكنها جهود دالة على الوعي والاجتهاد الشخصي ومن المقومات التي تفرق شخصية من اخرى .

ولننتقل بعد هذا الى الكلام عن الحضارة في صورتها اللامادية وصورتها المادية . وهي التفرقة الشائعة عند الالمان اوالامريكان بين كلمتي culture Civilization ولا باس من اختيار كلمتي ( حضارة ) و ( مدنية ) كترجمة عربية للكلمتين وان كانت الكلمتان — كما ذكرنا — تعنيان نفس الشيء ومع هذا ولسهولة العرض وحتى نهتدي الى كلمة افضل من كلمة " مدنية " فاننا سنستعمل كلمة حضارة للدلالة على الجانب الروحي في الحضارة . والاخرى للتعبير

عن الجانب المادى او التكنولوجى منها •

وكل افعال الانسان ومبتكراته ومعداته وادواته تتبع جانبا من هذين الجانبين : فاذا بدأنا الكلام بالحضارة المادية او المدنية فسنرى ان الادوات المختلفة كالالة الكاتبة والقاطرة والبنك والمصنع ونظام النقد تتبع عالم المدنية •وترمى هذه الاشياء الى المنفعة ونحن لا نبتغيها • لان وجودها فى ذاته يشبع رغبة لدينا • وانما نريدها باعتبارها وسيلة لتحقيق غاية ابعد • ويقسم عالم الاجتماع ماكيفر الناحية التقنية فى المدنية الى تقنية اساسية واخرى اجتماعية

والتقنية الاساسية تختص بسيطرة الانسان على الظواهر الطبيعية وتمثل عالم الهندسة والصناعة ومجالات تطبيق قوانين الفيزياء والكيمياء وعلم الاحياء خدمة الغايات الانسانية • وتتحكم فى عمليات الانتاج فى الصناعة والزراعة الاستخلاصية •ومن ثمار هذه التقنية انشاء الطيارات والبواخر والجرارات والمصاعد وعدد لا حصر له من المعدات والادوات • فهى التى تشكل الاشياء من مختلف الاحجام والادوات وتجمعها وهى التى شادت ناطحات السحاب والافراد وخططت المدن العصرية بحدائقها الغناء واحدث ضجة فى قبعات السيدات •

اما التقنية الاجتماعية فتشتمل على التقنيات التى تتبع لتنظيم سلوك البشر وتنقسم قسمين رئيسين : التقنية الاقتصادية والعلاقات المباشرة بين الافراد لتحقيق الغايات الاقتصادية والتقنية السياسية ولها مجال واسع من العلاقات البشرية •

فاذا انتقلنا الى الحضارة فسنرى انها تتمثل فى لوحات الفن والاشعار والتمثيليات والافلام السينمائية والفلسفة والعقائد والكاتدرائيات ـ كل هذه الاشياء نريدها فى ذاتها . لانها تزودنا مباشرة باشياء نشتهيها او نفكر فيها اونحتاج اليها ... ومن هنا تخالف الادوات النفعية التى تتبع المدنية . فانها جميعا تتجاوب هى وضرورات بداخلنا وليست خارجها فهى تنتمى الى عالم الحضارة بقيمه واساليبه ووجداناته وخاطراته الفكرية .

من هذا العرض نتبين ان الحضارة مباينة للمدنية : فهى تعبر عن نفسها فى طبيعتنا واساليب عيشتنا وتفكيرنا ولقاءاتنا اليومية فى الفن والادب والدين وجوانب متعتنا . وللاشياء فى الاغلب جانبان : احدهما حضارى والاخر مدنى . ومعيار التفرقة بينهما هو رد التساؤل : هل نريد هذه الاشياء فى ذاتها . اونريدها لبلوغ غاية ابعد ؟وما مبرر وجودها من الحاجة الخارجية . او اننا نبتغيها لاشباع ضرورة داخلية ؟ وكثيرا ماننسب الى الاشياء النفعية طابعا حضاريا كان نبنى بنوكنا فى صورة تنافس المعابد . ولكن هذا العنصر الخارجى يجب الا يخدعنا اويخفى المبرر الاصلى لبناء البنك فهو لم يقصد به الجانب الفنى او الجمالى ولكن المقصود منه هو العمليات النفعية التى يحققها .

ويذكر مايكفر الفروق الاساسية التى يتميز بها عالم الحضارة على عالم المدنية ويقول : ان للمدنية معايير دقيقة تقيس كل ما ينتمى اليها . اما عالم الحضارة فيتمرد على مثل هذه المقاييس .

والمعايير فنحن فى عالم المدنية نستطيع ان نفرق تفرقة موكدة بين الغث والسمين والافضل والاسوأ • باعتبار هذه الاشياء وسائل لغايات يمكن قياس درجة كفايتها والتيقن من نجاحها فى اداء مهمتها • فلا احد يختلف فى الحكم على الجرار بالافضلية على المحراث او افضلية نظام النقد الحديث على نظام المقايضة البدائى او تفوق المدفع على المنجنيق •

وعندما نختلف حول نظام الادارة العلمية اوالسياسات الاشتراكية فان هذا لايرجع الى صعوبة قياس كفاية هذه الانظمة فى تحقيق غايتها ولكنه يرجع الى قيمة هذه الانظمة للفرد اوالحياة • والمسألة الاولى ـ ولااختلاف فيها ـ تتبع المدنية • اما المسالة الاخرى ـ فمسألة وجدانية وتتبع عالم الحضارة بقيمه التى لاوجود لمعايير موضوعية لقياسها • ومن هنا جاء اختلاف العصور والجماعات الانسانية فى احكامها • واذا لجأنا الى الثقات كان هذا من قبيل العجز ليس الا • فاذا زعم برنارد شو انه اقدر من شكسبير فلااحد يستطيع ان يبرهن او ينفى مزاعمه • فمكونات عالم الحضارة اذن تفتقد الى اليقين الذى نستطيع الاهتداء اليه فى سهولة ويسر فى عالم المدنية •

الاختلاف الثانى هو ان المدنية فى تقدم مستمر • والحضارة ليست كذلك • فالمدنية لاتتوقف عن التقدم مادامت لاتصطدم هى ومعوقات يضعها المجتمع فى طريقها •ومنجزات المدنية دائمة الارتقاء الى ان يظهر اختراع افضل يدفعنا الى الاستغناء عنها •واحيانا ينسى

الاختراع بتأثير كارثة او لضياع الادلة التاريخية • فنحن لا نعرف على وجه الدقة طريقة نقل الاحجار لصنع الهرم الاكبر او انشاء الطرق ومصارف المياه في روما ولكن بعد ان تقدمت المحافظة على الوثائق التاريخية لم نعد نخشى ضياع اى وثيقة تاريخية عن منجزات المدنية وعندما نراجع تاريخها يتبين كيف تقدمنا في صناعة السيارات عن بداية هذا القرن ؟ او كيف ارتقينا بوسائل انتقالنا واتصالاتنا اللاسلكية ؟ ولكن هل نستطيع الزعم بحدوث نفس الشيء في عالم حضارتنا ؟ هل تفوقنا في الفلسفة على افلاطون ؟ او تفوقنا في تاليف الدراما على اليوناني اسخيلوس ؟ هنا يصعب القول بان عالم الحضارة يتقدم تقدما ملحوظا على نفس النحو الذى نصادفه في عالم المدنية •

ثالثا : لا يصادف تأثير المدنية معوقات كالتى يصادفها نقل الحضارة : فالشرط الاساسى لانتقال الحضارة هو التشابه في العقلية بين الطرفين • ولن نتوقع ممن يفتقر الى موهبة الفنان تقدير الفن او من اصحاب الاذان غير المرهفة ان يعجبوا بموسيقات الحضارة اما المدنية فلا تعرف مثل هذه الصعوبات فنحن قادرون على الاستمتاع بمنجزاتها بغير قيد اوشرط • اى لا يلزم ان نملك نفس مواهب اصحابها • كما ان نظام الخلق والابتكار يختلف في عالم الحضارة عن عالم المدنية • فقد استطاع بعض صغار الحرفيين اصلاح ادوات ومعدات من اختراع كبار العلماء • على حين عجز صغار الشعراء عن الاضافة الى اى بيت شعرى جادت به قريحة احد عظماء الشعراء ؟ وما نستطيع ان نحصل عليه من حضارتنا او حضارة

عشيرتنا يتوقف على شخصيتنا وتكويننا العقلي والروحى ٠ اما منجزات المدنية فرهن اشارتنا ٠ وبوسعنا ان نستعملها دون عناء وبغير حاجة الى موهبة او قدرة ٠

المدنية والتقنينات تستعار بلاتغيير ودون ان تمس ٠والامـــر ليس كذلك فى الحضارة فنادرا ما انتقلت عناصر الحضارة من نطاق الى اخر وبقيت على حالها ٠واذا توافرت سبل النقل والاتصـال فلن يتعذر نقل كل المستحدثات التى تطرأ على معدات المدنيـــة ولم تعد المجتمعات الفطرية تتمسك بادواتها ومعداتها التقليدية فلقد طرحت جانبا اقواسها ونبالها ورماحها ٠واستعاضت عنهـــا بالبندقية والرشاشات وحلت المصانع الكبيرة محل اكواخ الحرفيين ومن السهل العثور على الحجج لاقناع الاخرين باتباع مبتكـــرات المدنية ٠ فلااحد الان يتمسك بالعقاقير البدائية عندما يـــرى النتائج الباهرة التى حققها العلاج الطبى الحديث ٠
وعادة لاتحدث مقاومة ضد تقدم المدنية الااذا ارتبطت المعدات والادوات برباط وثيق بناحية حضارية اذ تتمسك الشعوب بحضارتها لانها تشعران كيانها وجوهرها مرتبط بمقومات هذه الحضارة ٠٠ ولاشك ان انتشار معدات المدينة لم يقض على الفروق الحضاريـــة وتخضع الاستعارات الحضارية ــ كما ذكرنا ــ لعامل هام هو التشابـــه العقلى بين المنتمين الى الحضارتين او تتعرض للتكيف وربمـــا للتشويه والمسخ حتى تتناسب الحضارة الناقلة ٠واوضح مثال لهذا التكييف والمسخ ماتعرضت له الاديان عندما نقلتها البعثـــات التبشيرية الى حضارات مختلفة عن الحضارة التى ظهرت فيهـــا

الاديان فى الاصل . وثمة اختلاف يجب ان ننبه اليه : فنحن ننقل عادة الاحداث فى ادوات المدنية ولكننا ننتقى ما يناسبنا حضاريا بغير مراعاة لحداثته . فقد دفعنا التجانس الحضارى الى قبول اساطير اليونان او اساطير الشمال الجرمانية او فن فلورنسا السابق للمصور الايطالى رافاييل .. وهكذا يتبين ان المدنية تتبع فى انتقالها سبلا مختلفة عن السبل التى تتبعها الحضارة . فانتقال المدنية اسرع وأبسط ولا يتقيد بتشابه عقلى اوحضارى . فالناس يتبادلون السلع التجارية دون مبالاة بأصلها وفصلها .

لقد دققنا فى تحديد الاختلاف بين الحضارة والمدنية . لان الكثير من الدول تعتقد انها قد اصبحت تتبع الحضارة الحديثة لمجرد انها نقلت بعض الادوات والتقنيات . وقلما تعرف خلفية هذه الادوات والمعدات . وكثيرا ماتتوهم انها وصلت لنفس درجة تقدم الحضارات العليا عندما تشيد ناطحات سحاب اوتستورد احدث طراز من السيارات اوالطيارات . ولا تدرى ان هذه المعدات تدل على شئ واحد هو التقدم التقنى الذى لم يظهر عفوا عند الحضارة صاحبة الاختراع . ولكن هذه المعدات تستند الى اسس حضارية لا شك فيها . هذا التقدم التقنى هو الذى يسر نقل المعدات او الادوات وبسط من طريقة استعمالها الى حد توهم الزبائن انهم قد بلغوا نفس مستوى الحضارة التى ابتكرت هذه المعدات .

بينا الاختلاف بين " الحضارة " و " المدنية " وكأنهما

يوجدان منفصلين ولكن الحقيقة تبين انهما لايوجدان على هـذا الحال اطلاقا . فالناس لايعنون عند صنع ادواتهم بالاكتفاء بجانبها التقنى والا فما معنى الزخارف التى يزينون بها هذه الادوات ؟ . .
وما قلناه عن الادوات ينطبق ايضا على الانظمة الدستورية اوالاجتماعية فالقانون لايوضع لاغراض الادارة فحسب ولكنه يعبر ايضا عن روح الشعب ومن هنا يعتز به فى ذاته لانه استطاع ان يجسم معانى نابعـة مـن الوجدان . ولعل اختلاف الجانب التقنى عن الجانب الحضارى هـو الذى يفسر سر مقاومة التغيير والنزعات المحافظة . فالناس برغم اقتناعهم بعيوب انظمتهم يرون ان تقاليدهم الموروثة التى وضعها اسلافهـم لها قداسة خاصة بفعل الزمان . وهذا يصعب التفاتهم الى اى انتقادات بناءة يقصد بها التعديل لمصلحتهم . خاصة بفعل الزمان وهذا يصعب التفاتهم الى اى انتقادات بناءة يقصد بها التعديل والتحوير لمصلحتهم .

والجوانب الحضارية قد استطاعت ان تسخر الجوانب التقنيـة لمصلحتها وبذلك اثبتت ان الحضارة نسق لاينفصل فيه الجانب الروحى عن الجانب المادى او التكنولوجى اوجانب المدنية كما سميناه الذى يعد ؛ اولا : اداة للحضارة . وثانيا : عاملا يحدد صورتها . وثالثا : جانبا ماديا يمثل بيئة الحضارة التى تتكيف معها .

ومن ناحية العامل الاول : نضرب مثلا بتأثر الادب بصناعة الطباعة فلولاها ما ظهرت امهات القصص وما شاعت عادة القراءة . وكان لارتقـاء اساليب النقل والاتصال اثر مماثل على نشر الفكر والمعرفة . وبذلك ادت المدنية اعظم الخدمات للحضارة .

ومن ناحية العامل الثانى يقال : ان تقدم التكنولوجيا قد يسر لنا فراغ الاستمتاع بالحضارة وان كان كثيرون لا يقرون ما يقال من ان الحضارة من صنع وقت الفراغ . فقد ظهرت فى اليونان على حين تيسر هذا الفراغ عند الرومان الذين كانوا عباقرة فى نواحى المدنية ولكنهم امضوا هذا الفراغ فى نواح اخرى ولذا فيرجيل متفاخرا بان الشعوب الاخرى قد تتفوق على الرومان فى فنون النحت والخطابة والفلك . اما الرومان فمهمتهم هى الفن العملى للحكم . ولعل فيرجيل كان يتباهى بان القوة الحقيقية مستمدة من الجوانب النفعية من اقتصادية وتكنولوجية وسياسية فهى التى تتحكم فى الانشطة الحضارية وبوسعها ان توازرها او تعمقها .

المدنية ليستمجرد عامل ثانوى فلاننسى ان عصر الالة قد خلق عادات جديدة وفلسفات واخلاقيات جديدة وقد حثتنا التلسكوب على مراجعة كل معتقداتنا عن الكون ودفعنا الميكروسكوب الى على مراجعة معتقداتنا عن طبيعة الحياة وتاثر ديننا وسلوكنا تاثرا كبيرا بهذين الاختراعين ولكن الطرف الاخر يرد بان اثر الحضارة ربما كان اعظم لانها تمثل الحكم الاخير والناس يفسرون العالم برمته بما فى ذلك ادواتهم ومعداتهم وسلطانهم السياسى على ضوء هذه الاحكام . فلكل عصر وشعب نظرته للاشياء وبوجه عام لاانفصال بين العنصرين الروحى والمادى فى الحضارة وغلبة عنصر على اخر يهدد بانهيار الحضارة فلابد من حدوث توازن بين العنصرين ولعل الالمان قد غالوا فى التفرقة بين نوعى الحضارة الروحية والمادية . واعتقدوا ان تفوق العنصر المادى والتكنولوجى انما هو سبب كل انحلال يصيب الحضارة

ولكن الحقيقة هى ان اى خلل فى العلاقة بين العنصرين الضروريين هو الذى يضر المجتمع على ان الالمان عندما نبهوا الى مايصيب الاخلاقيات عندما يطغى الجانب المادى او التكنولوجى على الجانب الروحى قد اصابوا الحقيقة فكل مايصيب اخلاقيات الحضارة يهدد بانحلالها لامحالة ٠

٣ـ بقى ان نفرق بين الثقافة والحضارة ٠ونحن ـ لا ـ نقبل ان ـ تعتبر كلمة "ثقافة" مرادفة لكلمة culture عندما يقصد بها حضارة البدائيين وانما تقبل اعتبار كلمة Culture مرادفة للثقافة ٠ بمعنى اتساع المعرفة والوعى ٠ او وجود نظرة الى العالم او نظرة جامعة Weltanschauung كما يقول الالمان ٠ وهذه النظرة ليست مجرد انعكاس للحضارة فى نفوسنا وعقولنا ٠ فهى تشتمل عند فيلهلم دلتاى اول من نشر هذه الكلمة على نطاق واسع فى الفكر الالمانى على ثلاثة عناصر اساسية:

العنصر الاول : تصور عام لطبيعة عالم الوقائع ومضمونه ٠

والعنصر الثانى : وهو مستمد من العنصر الاول ـ نسق من المستحبات والمقومات يعبر عنها فى احكام تقويمية ٠

والعنصر الثالث: وهومستمد ايضا من العنصرين الاولين ـ نسق من الرغبات والغايات والواجبات والقواعد والمبادئ العملية

ونحن نكتسب كل هذا فى نظرتنا الى العالم او نظرتنا الجامعة التى تضم معتقداتنا وعاداتنا ومشاعرنا وارادتنا ٠وتختلف هذه النظرة من شخص لاخر ٠ فقد تغلب ناحية المعرفة على نظرتنا

ويقمع كل اهتمام بالشعور ،وقد تطغى ناحية الشعور . فيركز الفرد على مافي العالم من جمال واتساق ويتصورهما كمفتاح لطبيعته ومغزاها . وقد تغلب ناحية الارادة فيرى العالم كمظهر لقدرة خلاقة .ويتصور على انه موجود ليكون مسرحا للافعال الانسانية .ونرى الحقيقة لا كمعرفة واضحة المعالم . بل كواجب اخلاقي يؤدى باخلاص وامانه . ويرى الوجود الموضوعي كمجموعة من الاوضاع التي تفرض نفسها على الافعال .

هذه هي النظرة الى العالم التي ترادف ما درجنا على تسميته بالثقافة ونحن نسعى لتعميقها وتوسيعها حتى تمكننا من حل ما يسمى بالغاز الحياة وربما لا يرضى بعض عن شرح ديلتاى . ويراه غارقا في فلسفته الغامضة . لذا ساذكر تعريفا آخر جاء به المفكر الفنان البرت شفايتزر ( ١٨٧٥-١٩٦٥ ) الذى قال : ان النظرة الى العالم او النظرة الجامعة تدور حول تساؤلنا عن اهمية المجتمع الذى نحيا فيه .وما اهميتي بالنسبة للعالم ؟ وما الذى نريد ان نفعله للعالم ؟ وما الذى نبتغيه منه وواجبنا نحوه ؟ فالثقافة هي جملة المعتقدات التي يهتدى اليها الفرد بتاملاته واطلاعاته عن الكون وطبيعته وغايته ومصير البشرية .وهذا يعني ان علينا ان ننبه الى الاختلاف بين الحضارة والثقافة .فالحضاره وتراثها اشياء نرثها ولا فضل لنا فيها وتنقل الى وجداننا وعقولنا بطريقة لاشعورية في الاغلب .اما الثقافة فمن صنعنا وهي التي تبرز اختلافنا كافراد .لذا فقلما تشابهت ثقافتان ولا يمكن ان تكون الثقافه لاشعورية لانها لا تتحقق الا باكتمال الشعور والوعي .

والثقافة لها دور هام وخطير : فهى التى خلقت الحضارة لاننا لانصدق ان المجتمع هو الذى يخلق التراث الحضارى ولكنه يخلقه عن طريق افراد مميزين فيه كانوا على وعى بروح العصر وتوفرت لهم القدرة النظرية والارادة العملية ٠فاذ قيل ان الحضارة فى محنة فعلينا ان نشير باصابع الاتهام الى المثقفين ٠ لان كل حضارة عرفتها البشرية قد اعتمدت على نظرات جامعة وارادة فردية هى التى خلقت روح الحضارة ٠ وهذه النظرات الجامعة مختلفة عن كل معرفة جزئية او تامل قد ينتهى بالشك ويوضع نظرية يعجز الاخرون عن ترجمتها الى سلوك عملى يشيد الحضارة او يغيرها ٠ ويبدأ هذا النوع العملى من الفكر والثقافة عادة بقصد اصلاح الذات ولكنه ينتهى عند العباقرة بتغيير وجه المجتمع والحضارة ٠

---

## حضارتنا الى أيــن ؟

عندما تذكر كلمة الحضارة بمفردها فى الكتابات الحديثة من علمية وغير علمية وعن ذلك يكون المقصود حينئذ هو الحضارة الحديثة او بمعنى اصح الحضارة الغربية ٠ فقد احتكرت هذه الكلمة معنى الحضارة عند العوام والمثقفين على السواء ٠ ومايقصده العوام بالحضارة هو جانبها المادى او التكنولوجى الذى تحدثنا عنه عند كلامنا عن المدنية ٠ومن المفارقات الغريبة ان تنسب الحضارة الان الى المدنية التى قال بعض المفكرين وفى طليعتهم اشبنجلر : انها تمثل مرحلة انحلال الحضارة ولكن هل حقا هناك حضارة واحدة ؟

اذا اعتبرنا الحضارة مقصورة على جوانب التكنولوجيا فمن واجبنا ان نقر بنجاح التكنولوجيا فى غزو العالم ٠ فاليوم قد ظهرت ناطحات السحاب فى اغلب مدن افريقيا وآسيا ٠ والادوات الالكترونية معروفة فى جميع القارات وبعض المشروبات الروحية وغيرها تقدم فى الفنادق فى شتى انحاء العالم فاذا قصد بالحضارة المدنية فان علينا الاعتراف بان هناك حضارة واحدة ولكن المفكرين لا يقبلون هذا المعنى ٠ ويرون الحضارة بمعنى مختلف ٠ فالفيلسوف الانجليزى وايتهد قد استبعد من مقوماتها "العلم" وكان المفروض ان يكون اول دعاة صدارة العلم والتكنولوجيا على جميع مظاهر الحضارة ٠ ففى تعريفه للحضارة قال : ان الانسان او المجتمع يعد متحضرا اذا تركزت اهتماماته على حب الحقيقة والجمال والمخاطرة والفن والسلام واستبعد العلم عن قصد لانه ادرك ان الحضارات قد ظهرت احيانا دون اعتماد على العلم فدوره كان هينا للغاية فى حضارة عظيمة كحضارات الصين والهند وفارس ٠ ولا ننسى ان اليونان لم تحقق سوى قدر ضئيل فى تفاصيل المعرفة العلمية الدقيقة ودور الرومان اهون شأنا من اليونانيين وحتى الحضارة الغربية العظيمة التباهى بنفسها فانها لم تحقق تقدما علميا صحيحا الا فى القرن السابع عشر ٠ ولا تنكر قيمة المعرفة العلمية فى تزويد الحضارة بالتكنولوجيا وهى عماد جانب هام من الحضارة الماديةالحديثة ومع هذا فان الحضارة قادرة على توطيد اقدامها دون نظر الى العلم فالمقومات السابق ذكرها هى المقومات التى رآها وايتهد وحدها اساسا فى كل الحضارات ٠ فاتخاذ المدنية كبديل للحضارة غير مقنع على الاطلاق ٠

وللرد على الزعم بان العالم يعيش الان في ظل حضارة واحدة علينا ان نرجع الى موقف مختلف البلدان . فسنرى ان آسيا تعاني الان تصدعا روحيا كبيرا نتيجة لازدواج شخصيتها وصعوبة المواءمة بين المدنية الغربية التي استوردتها وروحانياتها الممثلة لحضارتها واوربا نفسها لاتتبع حضارة واحدة زيادة على قسمتها المعروفة الى شرق وغرب . وهناك قسمة اخرى بين الشمال والجنوب . وفي هذا الصدد قال المفكر الاسباني المعاصر اورتيجا اى جاسيه . ان حضارتي الشمال وحوض البحر المتوسط مختلفتان اختلافا جذريا . فهما تمثلان اختلافا خطيرا في العقلية : الشمال يفكر بتصورات عقلانية مجردة .. واهل الجنوب يفكرون تفكيرا حسيا . فكانهم عندما يفكرون في مشكلة يعرضون صورة لها لاتفهم من ناحية علاقاتها الاستدلالية والعلية ولكنها تدرك من طريقة توزيع الوانها المحسوسة . ولربما تحققت وحدة الحضارة مستقبلا ولكن من المغالطة الزعم بان هذه الوحدة قد تمت الان .

وبوجه عام ليست مشكلة تشتيت الحضارات او وحدتها من المسائل التي تشغل بال المفكرين لان مايقلقهم كما راينا هو الاعتقاد بان الحضارة الغربية قد ماتت وانتهت واننا الان في حالة ضياع . ومؤلفات الالمان ابتداء من القرن التاسع عشر حافلة بامثلة متشائمة عن مصير الحضارة لعلها اصداء للروح المسيحية المتشائمة التي كانت تتوقع قيام القيامة سنة ١٠٠٠م ـ ولعلها ايضا نابعة من النزعة المثالية السائدة في الفكر الالماني التي تشعرهم بالقلق للاختلاف الكبير بين عالم المثل وعالم الواقع وبخاصة بعد الثورة الصناعية وما احدثته من تغير بعيد الاثر

فى بناء الدولة وعلاقات الافراد وظهور نوعيات جديدة من البشـر الذين لم تعرفهم المجتمعات المستقرة من قبل . وقد حلل نيشة هذه التغيرات كامتزاج الطبقات وسيطرة الطبقة الصاعدة بدلا من الطبقة الارستقراطية . وتحرير الطبقات الدنيا والنساء . وتفكك الاسرة وانهيار التقاليد والتكتل الجماهيرى الذى خلق نوعا خطيرا من الاستبداد الذى اضعف الفرد . وعزا نيتشه انحلال الحضارة الى انتشار الحكم الديمقراطى وفقدان السلطة المنظمة وظهور نوع من الزعماء المنافقين المتخصصين فى تملق الجماهير . وعبادة الدولة . وتسخير الحضارة لغايات همجيـة .

وفى ميدان الاقتصاد ظهرت اقتصاديات المنفعة التى انعكست فى ايمان المجتمع بالقيم السوقية . وتسخير غايات الحضارة للاغراض الشخصية وتبديد قدر كبير من طاقة الافراد فى الكدح . كما حولت النظم الصناعية الحديثة العامل الى " عبد للآلـة " .

ومن نتائج سيطرة العلم ان تدهورت المعتقدات الدينية والاخلاقية دون ظهور بديل لها نفس فاعلية هذه المعتقدات . ولم يعد الفرد مركزا للكون . ولكنه اصبح فكرة من خلق المصادفة وتسبب التخصص فى التعليم فى اهدار آدمية الفرد . وطغت فى العلم الروح المدرسية على الجوانب وازداد الهرب الى الدراسات القصية فى المكان والزمان للتعويض عن نقص الحيوية فى الحاضر .

وانتشرت الضحالة فى التعليم واصبحت غايته تخريج عبيد متخصصين من الموظفين السطحيين الملمين بالقراءة والكتابة فحسب . تقتصر ثقافتهم

على القراءة السطحية للصحف اليومية وتذوق الاعمال الرديئة من الموسيقى والشعر فنظام التعليم فى نظر نيتشه هو اسوأ عائق لخلق حضارة نضره وفى الفن طغت الصنعة على الاصالة والنعومة المخنثة على الفحولة واصبح شعارة التاثير باى ثمن ٠والجرى وراء طرائف الموضوعات الغربية او المريضة او المرعبة ٠ وتلفيق الاساليب المستعارة والخضوع الكامل لاذواق الجماهير اوالمجهدين الباحثين عن المتعة اوالاغبياء ٠

وفى الدين : اصبح المتدينون نوعا من المتسولين الضعفاء الذين لايهتمون بايجابيات الدين ٠ لان همهم هو الحصول على المغفرة عن الاثام التى يعجزون عن قهرها ٠ وفى الفلسفة اختفى العمالقة وحل محلهم نفرمن الاقزام والتوابع الذين لايليق انتسابهم للمهمة الجليلة التى تضطلع بها الفلسفة الحق ٠وآثر كثيرون منهم الاكتفاء بالتعليق على الفلسفات الماضية او رواية تاريخها وكثيرا مايجيئون بافكار مترهلة تثير سخرية اقرانهم ٠ وفى الاخلاق بلهلة من المثل المتضاربة الحائرة بين النزعة الانسانية والتفاؤل والايثار والرحمة ونوع من الرخاوة والنفاق الذى يصف بالقوة فضائل المعاناة والكفاح والجهاد ٠ اويدعو الى مثالية زائفة تتجاهل الحقائق ٠

ومن امراض العصر التى اشاد بها نيشة الافراط فى العمل المهرب من الذات واللهفة والافتقار الى الصبر والتهويش الفكرى ٠ فلاشىء يستطيع النفاذ الى قاع الوجدان وبذلك اصبح الانسان الحديث العوبة فى يد المتغيرات الخارجية ٠وتسبب قلق الحياة الحديثة فى ظهور نوع من المتسامحين الضعفاء اومن المتعصبين الاغبياء وباختصار فان الحضارة الحديثة قد اضعفت الارادة الانسانية ٠

والتطلع الى الخلق والايمان بالخلود ٠ وانتهى نيتشه الى اصدار الحكم بان الحضارة الحديثة قد تدهورت واضمحلت ٠ كما يبدو من تفككها وتضاربها وانهاكها وعجزها عن التكيف مع مشكلات العصر وكل علاج يوصف يزيد الطين بلة ٠ على ان نيتشه فى مكان اخر قد ميز بين التدهور الاخلاقى والسياسى والتدهور فى الحضارة وقال ان افضل صناع للحضارة قد ظهروا فى عصور الفساد الاخلاقى والسياسى

ونقترب من هذه اللهجة المتشائمة لهجة الفيلسوف الإلمانى المعاصر كارل ياسبرز عندما يقول فى كتاب ( الانسان فى العصور الحديثة ) ان الاعداد الكبيرة قد هبطت بالحضارة واكتفت بالقيم والمثل التى تناسب اوساط الناس ٠ وتدهورت الروحية واصيبت بالهزال نتيجة لتبسيط الافكار وتقريبها من فهم العوام ٠ وبتنا مهددين باختفاء صفوة المثقفين الذين جاهدوا لترويض افكارهم ومشاعرهم وخلقوا لنا كل مفاخر البشرية ٠ فالجماهير العريضة محرومة من الفراغ ولاتهتم الا بلقمة العيش والبحث عن المتع الرخيصة ٠ فلاعجب اذا غدا المقال النثرى الادبى الوحيد المعروف لدى الجماهير واذا حلت الصحف المصورة مكان الكتب الجادة ٠ فالناس يقرؤون على عجل مجرد شذرات مبهمة ٠٠٠ ويطالبون بما قل ٠ ولايهم اذا دل اولم يدل ٠ فلم تعد هناك صلة عميقة بين القارئ ومادة قراءته ٠

ولايحدث الاطلاع الجاد الوحيد الا فى مواد التخصص ولكن هذا التنوع فى القراءة برغم اهميته قد تسبب فى انعزال مختلف الطوائف كل عن الاخرى ٠ فلم تعد هناك موضوعات جادة مشتركة تجمع بينهم وتعرفهم طبيعة حياتهم ونفوسهم والمثقفون فى حاجة الى توجيه

لمعرفة طريقة الاطلاع على موضوعات كالتاريخ مثلا •فعليهم ان يدركوا ـ
ان قراءة التاريخ ليست وسيلة للهرب من الحاضر ومشكلاته او بقصد متعة
دراسة ما فعله جدودهم واسلافهم •فيجب الا يكون الالمام بالماضى
سببا فى تحطيم الحاضر او تصوره فى صورة زرية • ان ما نكتسبه من معرفة
بالماضى يساعدنا على اعادة خلق الحاضر •والتعلق بالتاريخ الذى
يكتفى بالفهم لا قيمة له على الاطلاق •فالواجب ان يساعدنا تعمق
التاريخ على اكتشاف المنابع التى تغذى الحياة والحاضر بالتبعية
وينسب باسبرز كل انحلال فى الحضارة الى الصحافة وما اكتسبته من نفوذ
وتاثير كبيرين •ويقول : ان نفقات اصدار الجريدة ترغم صاحبها
على بلوغ غايته فى الكسب باى ثمن •ولو اراد العثور على سوق لسلعته
فعليه ان يخاطب غرائز الملايين بالاثارة والتركيز على التوافه
والصغائر • والحرص على تجنب اجهاد قرائه او ارغامهم على استعمال
عقولهم • ولذا اتسمت مادة الصحف بالضحالة بل بالخسة • واذا
ارادت الصحف الانتعاش فعليها ان تبيع نفسها لمراكز القوى السياسية
والاقتصادية ومن هنا يفتن الصحفيون فى تنميق الاكاذيب والتهويل فى
الدعاية على نحو منفر للمراكز العليا من عقولهم •فهم يكتبون ما يكلفون
القيام به • ولا يستطيع الكاتب الاخلاص الا اذا سيطرت على ضميره مثل
اخلاقية سليمة • فاذا تحدثنا عن العلم فسنرى اختفاء الاهتمام بالنظرة
الجامعة منه والاقتصار على العلم بالجزئيات دون دراية بعلاقتها بالكل
وتقدر قيمة المعرفة من ناحية نفعها بدلا من ارتباطها بفلسفة كلية
تفسر الجزئيات وبذلك اصبحت نتائج العلم معلقة فى الهواء بلا
جذور فى المعرفة بمعناها الصحيح • كل هذا قد جعل العالم فى

موقف سيء • فهو يعرف جزءاً صغيرا للغاية مما كان ينبغي ان يعرفه لان الحضارة الحديثة لم تلهمه الرغبة الحق في المعرفة بما كان ينبغي ان يعرف •

هذه لمحات من الصورة القاتمة التي رسمها باسيرز • وقد تدفعنا الى اليأس •لانه قد تحدث عن الصفوة في المانيا في فترة من ازهى عصور حضارتها ونحن نغفر له كل نقده القاسي لانه يتضمن بعض العبارات المشجعة •فهو يعرف المهمة الشاقة بل المستحيلة التي تواجه كل من يسعى لانقاذ الحضارة ويقول من يهدف الى المستحيل هو وحده الذي يستطيع بلوغ الممكن •

فاذا تركنا افكر الالماني فسنرى بعض نظرات متفائلة الى حاضر الحاضر ومستقبلها عند كثيرين من المفكرين وعلى الاخص الانجليزي وايتهد والفرنسي اندريه مالرو : فوايتهد يرى ان الحضارة الحديثة تتميز عن كل ما سبقها من حضارات بكونها خلاصة جامعة لاهم الحضارات الماضية ففيها كل مزايا الحضارات السابقة في اليونان وفلسطين ومصر • ومن اليونان استمدت تذوق الفن والجمال ودقة التفكير والعمل •ومن عبقرية الشرق واديانه بزادها الروحي •وتصورها للعالم متمركزحول فكرة الله • وتأثرت بمصر بوجه خاص في ناحية الخبرات العملية •وتعلمت من روما النظام وطريقة خلق وحدة في اى كيان مشتت• ومن المستحيل ان تخلو اى حضارة من السلبيات ففي اليونان لم يشعر حتى الممتازون من الرجال باى احترام لشخصية الفرد والرق كان مباحا •وفي العهد الهليني ساد الشعور بعدم

وجود اى جديد جدير بالاكتشاف ٠ وحلت الدراسات الروتينية محل اصالة التنقيب والاستقصاء ٠ واذا رجعنا الى اغلب الحضارات السابقة فسنراها فى الاغلب لم تبال ارواح البشر ٠ وطالما ضحت بهم فى سبل غايات دنيوية تافهة ٠ وعبد الناس فى كل الحضارات سلطان القوة حتى عصر النهضة فانه برغم حيويته قد استنفد كل طاقته فى عبادة اليونان ٠ وبرغم انتعاش بعض خصائص الحضارية كالاهتمام بالحقيقة والجمال والمخاطرة فانه لم يعرف السلام واتسم حكامه بالشراسة والفظاظة وهذا يدلنا على ان الحضارة الكاملة لم تعرف على الاطلاق ولعل كل الشروط التى وضعها الفلاسفة والمفكرون لم تزد على مثل مطلقة بعيدة المنال ٠ وماعرفته الحضارات لم يزد على ملامح من هذه الغايات الكبرى ٠

وفى حديث للاديب الفرنسى الكبير اندريه مالرو مع الاديب الاسبانى جى سواريز أشاد ايضا بالحضارة الحديثة وقال ان حضارتنا لا نظير لها فى الماضى ٠ لانها وريثة هذه الحضارات جميعا ٠ تذكر اننا اول من فعل هذا ٠ وربما بدت هذه الفكرة دارجة لابناء جيلك ٠٠ ولكن لم يحدث من قبل ان ظهرت حضارة ترى ان الاحاطة بمعتقدات مصر والهند والمكسيك اسس ضرورية لمعرفتنا بالانسان هذا بالتاكيد هو المرة الاولى ٠ لقد امتد مجال المعرفة الى مدى بعيد فى دراسة مختلف حضارات البشر ٠ واكتشفنا فى عالم الفن مجالات عدة ومتنوعة واطلعنا على مالدى هذه الحضارات من مستحدثات والمعانى الجديرة بكل تقدير ٠ كان اجدادنا لا يعرفون غير حضارتهم المميزة اى حضارة البحر المتوسط ويتصورون باقى

الحضارات همجية اما الان فاننا قد بدأنا نؤمن بوجود تاريخ عالمى واحد ونهضات عالمية واحدة •

ويبدا مايقال عن افتقار الحضارة الحديثة الى القيم فى نظر مالرو ميزة اكبر للحضارة الحديثة التى لم تعد تنظر الى هذه القيم على انها قيم على الاطلاق •لاننا لم نعد نقبل اى شىء على علاته وبالرغم من اننا نشعر ان حضارتنا تموت او اننا فى انتظار مولد اخرى فاننا نشعر فى نفس الوقت بانها اقوى حضارة عرفها العالم •وتصور ايضا ان هذه الحضارة تتميز على كل ماسبقها بانها من خلق اناس يعون ذاتهم ويدركون مسئوليتهم عن افعالهم ولايلقون اللوم على اى قوى خارجية او غيبية فحضارتنا تستمد قوتها من ذاتها وما سبقها من حضارات فهى قد اثبتت وحدة البشرية ووحدة التاريخ على نحو لم يسبق له مثيل •

ونحن نؤيد كل انحياز لتيار التفاؤل ولا نتصور ان الحضارة قد انتهت لمجرد حدوث فتور فى الخلق الفنى والادبى او لاختفاء بعض العباقرة وهذا اكبر معيار استند اليه المتشائمون • فالخيال العبقرى الخلاق مازال موجودا فى ميادين اخرى • وهل يصح القول بان رحلات الفضاء الاخيرة اقل عبقرية واعتمادا على الخيال الخلاق من أوبرات فاجنر أو روائع شكسبير ود ستويفسكى او ميكل انجلو ان مشكلات حضارتنا لم تعرفها اى حضارة سابقة • والتوفيق فى حلها _ الذى لايجد شدائدا يعتمد على جهود مضنية تكفى خلق عشرات الحضارات من الانواع السابقة وكل تقاوم فى المسائل

الانسانية او تصور لمعرفة الغيب ومعرفة القوانين المتحكمة فى مستقبل الانسان ينافى الوعى الحضارى السليم ولعل هذا هو اسوأ ماترتب على التاثر بمنهج الفكر فى العلوم الفيزيائية التى نجحت فى استحداث قوانين للتنبوء بالمستقبل ٠فكل نبوءات المتشائمين تدل على المغالاة فحضارتنا تعانى من الكثير من المشكلات ولكنها لم تمت والعبقريات الخلاقة مازالت بخير فكتاب مثل " تدهور الحضارة "لاشبنجلر يدل على عبقرية فذة برغم انه كتب فى الفترة التى توصف بفترة المدنية او مرحلة الدمور ٠وشخصية البرت شفايتزر والمتعددة الجوانب قلما نصادفها فى اى حضارة سابقة٠

فاذا كانت حضارتنا مملوءة بالامراض — وهناك اختلاف بين مثلنا وامراضنا — فالعلاج الوحيد فى يد المثقفين ٠ لانهم صنعوا كل حضارة ومسئولون عن المحافظة على تراثها وتنميته ٠ولم يكن اكتفاء اللغات الاوربية بكلمة واحدة للدلالة على معنى الحضارة ومعنى الثقافة من قبيل المصادفة ٠وهو لايدل ايضا على ان الحضارة مرادفة للثقافة ٠ولعله يعنى ان الثقافة هى التى تخلق الحضارة٠

× × × ×

# الفصل الثالث

## مشكلة التنمية الاقتصادية

# الفصـــل الثـــالث

## المشكلة الاقتصادية والنظم التي تصدت لحلها

من اول الامور التي يتعرف عليها طالب علم الاقتصاد ان المشكلة الاقتصادية التي تواجه اى مجتمع اساسها ندرة الموارد بالنسبة للاحتياجات. وهى لا تختلف فى طبيعتها عن المشكلة الاقتصادية التي تواجه اى فرد عندما يحاول ان يصل الى تحقيق نوع من التوازن بين دخله المحدود وحاجياته العديدة التي تسعى جميعها الى الاشباع وتتنافس فى الحصول على جزء من هذه الموارد . وكما ان حدة المشكلة الاقتصادية تختلف بين فرد واخر طبقا لدرجة اتساع مسافة الخلف بين الدخل والحاجات فانها تختلف كذلك بين مجتمع واخر طبقا لدرجة قصور الموارد عن مواجهة احتياجات السكان .. والفرد لا يستطيع ان يقف مكتوف اليدين امام هذه المشكلة التى تلازمه دائما ابدا لانه لو فعل لزادت حدتها وخطورتها على مر الايام ولاصبح فى النهاية عاجزا تماما عن مواجهتها . لهذا فانه يتعين عليه ان يبذل كل ما اوتى من جهد لزيادة دخله حتى يتسنى له اشباع حاجاته المتعددة التى تكثر وتتشعب كلما تطلع الى مستوى اعلى من مستويات المعيشة . ذلك ان سنة الحياة التى اقتضتها ارادة الخالق جل وعلا هى ان الانسان قد خلق ليعمل ويكد ويسعى لتحصيل قوتـــه.

وبالمثل فان المجتمع ـ اذا نظرنا له كوحدة ـ يتعين عليه ان يعمل دائبا لحل المشكلة الاقتصادية التى تواجهه والا لتخلف عن ركب

التقدم العلمى وتفاقمت مشكلته ووقع فريسة للاسلحة الفتاكة ،كالمجاعات والأوبئة ، التى تفرضها الطبيعة فرضا على المجتمعات التى تقصر فى حق انفسها فتهرب من مواجهة مشاكلها الاقتصادية وتتركها للزمن لعل الحل يهبط عليها من السماء اوياتى من هنا او هناك .

وللمشكلة الاقتصادية وجه اخر هوان الموارد النادرة لهـا استعمالات بديلة ومتعددة وبعضها اكثر نفعا من البعض الاخر فالدان الذى نزرعه قطنا تفقده زراعة القمح والجنيه الذى ينفق على الغذاء لا يمكن ان ينفق فى الوقت ذاته على الكساء . ولهذا فأن حل المشكلة الاقتصادية سواء اكانت تلك التى تواجه الفرد او المجتمع يجب ان يتجه فى ذات الوقت نحو زيادة الموارد من جهة وحسن استخدام وتوزيع ما هو موجود منها فعلا من الجهة الاخرى.

وقد تصدت عدة مذاهب ومدارس فكرية لكيفية حل المشكلة الاقتصادية التى تواجه المجتمع سواء من حيث العمل على زيادة الموارد ( اى زيادة الانتاج ) اومن حيث حسن استخدامها وتوزيعها واذا تغاضينا عن التفاصيل التى لا تمس جوهر الموضوع كثيرا فانه يمكن ان نستخلص من هذه المذاهب والمدارس الفكرية المتعددة نظامين اقتصاديين رئيسيين هما النظام الراسمالى الفردى والنظام الاشتراكى الجماعى . ولست اود ان اخوض فى هذه المرحلة فى تفاصيل المبادئ الاساسية التى تميز كلا من هذين النظامين عن الاخر فسوف تظهر الفوارق بينهما سواء من ناحية العقيدة او الفلسفة الاجتماعية او اسلوب العمل من الاطلاع على الابواب التالية من هذا الكتاب —

وانما اكتفى هنا - لمصلحة القارئ المبتدئ - بان اسجل اجمالا وبدرجة من الايجاز آمل الا يترتب عليها تشويه الفكرة . خصائص كل من هذين النظامين ثم انتقل الى الشرح التفصيلي للاسلوب الذى يعالج به كل نظام المشكلة الاقتصادية التى تواجه المجتمع . وسيتم هذا الشرح التفصيلي فى الفصلين الثانى والثالث على التوالى .

## خصائص النظـــام الرأسمالـــى

يمكن مع تأكيد التحفظ الذى ذكرناه آنفا واستباقا لدراستنا التفصيلية فى الابواب التالية ان نلخص الخصائص الرئيسية للنظام الرأسمالـــى فيما يأتـــى :-

أولا : الملكيـــة الفرديـــة :

يؤمن انصار النظام الراسمالى الفردى بقدسية حق الملكية الفردية سواء أكانت هذه الملكية منصبة على المتاع والمال الشخصى اوعلى ادوات الانتاج كالارض وموارد الثروة الطبيعية ووسائل ولا يسلمون بحق السلطات العامة فى نزع الملكية الا فى حدود ضيقة جدا تقتضيها المصلحة العامة وفى هذه الحالة فان نزع الملكية يجب ان يتم مقابل تعويض سخى ..

ثانيا : الحرية الاقتصاديـــة :

يعارض انصار الراسمالية المتطرفة تدخل الدولة بأية صورة كانت للحد من نشاط الافراد فى الميدان الاقتصادى الا اذا

تدخلت على سبيل الاستثناء لحماية الصحة العامة او الاخلاق اوغير ذلك من المسائل التى تمس المصالح العليا للمجتمع والشعار الذى يتخذه الرأسماليون للتعبير عن ايمانهم بمبدأ الحرية الاقتصادية بصفة عامة وحرية العمل والتجارة بصفة خاصة Laissez Faire Laissez Passer على انه من الجدير بالذكران نقرر انه لم يعد هناك اى نظام راسمالى لاتتدخل فيه الدولة تدخلا فعالا لتنظيم الحياة الاقتصادية عن طريق التشريعات والقوانين الخاصة بالضرائب والرسوم الجمركية وتحديد الاثمان والاجور وساعات العمل وما الى ذلك ..... اما نظام الفردية المطلقة فلم يعد له وجود فى اية دولة من دول العالم .

ثالثا : تحقيق التوازن الاقتصادى عن طريق جهاز الثمن :

يرتبط مبدأ عدم تدخل الدولة فى تنظيم الحياة الاقتصادية بايمان الراسماليين بان نظامهم الاقتصادى يتميز بصفة التوازن الذاتى التلقائى الذى يستند الى فلسفة سيادة المستهلك وسيطرته على كيفية توزيع موارد المجتمع النادرة على الاستعمالات البديلة من خلال الطريقة التى ينفق بها دخله . كما انه يتميز ـ فى نظرهم ـ بوجود توافق تام بين رغبة المستهلك ومصلحة المنتج الذى تدفعه دائما حركات الاثمان الى توجيه الموارد الانتاجية نحو انتاج السلع التى يرغب فيها المستهلكون وتحويل هذه الموارد عن انتاج السلع التى يعزفون عنها

وسنكتفى هنا بمجرد الاشارة الى ظاهرة التوازن التلقائى التى يزعمها الراسماليون على ان نعود الى دراستها تفصيلا فى الفصل التالى من هذا الكتاب.

رابعا : الاعتماد على المنافسة الحرة وحافز الربح فى تحقيق التقدم الاقتصادى :ـ

من اهم المبادىء التى يؤمن بها الراسماليون الاعتماد على المبادرة الفردية Private Initiative التى يحركها حافز الربح فى انشاء المشروعات واستغلال موارد الثروة الطبيعية والاعتماد على المنافسة بين هذه المشروعات فى ابتكار احدث اساليب الانتاج والارتفاع بالمستوى التكنولوجى الذى يترتب عليه زيادة درجة الانتفاع بالموارد المتاحة واطراد التقدم الاقتصادى وارتفاع مستوى المعيشة دون ان يوضع لذلك برنامج زمنى مرسوم من جانب الدولة.

خامسا : توزيع الدخل القومى :

ليس للرأسماليين فلسفة اجتماعية تنادى بتحقيق ولو قسط يسير من العدالة فى توزيع الدخل . فعندهم ان الحياة صراع مرير يكون البقاء فيه للاصلح او بعبارة ادق لمن يستطيع ان يسيطر على ادوات الانتاج وموارد الثروة . وهناك من الرأسماليين المتطرفين من يعترض على قيام الدولة بتوفير اى نوع من الخدمات الاجتماعية لطبقات الشعب الفقيرة وعندهم ان هذه الخدمات

يمكن ان تهيؤها الموسسات الدينية او الجمعيات الخيرية الخاصة التى تحصل على موارد ها من التبرعات والتى ينحصر نشاطها فى دائرة اعمال البر والاحسان ويخرج كلية عن الميدان الاقتصادى.

## خصائص النظام الاشتراكى

يمكن على سبيل المفارقة بين النظامين ان نجمل خصائص النظام الاشتراكى التى تناظر تلك التى اوردناها عن النظام الراسمالى فيما يلى :

### اولا : الملكية العامة :

تكاد جميع النظم الاشتراكية تجمع على ضرورة تملك الدولة للصناعات الاساسية والمرافق العامة ذات الصفة الاحتكارية ويتطرف بعضها الى حد الغاء الملكية الخاصة فى جميع صورها بينما يكتفى بعضها بمجرد الاشراف والرقابة على الانتاج مع الابقاء على الملكية الخاصة لاغلب ادوات الانتاج .وجدير بالذكر ان اشتراكيتنا العربية التى اوضح الميثاق الوطنى خطوطها الرئيسية توجب " ان تكون الهياكل الرئيسية لعملية الانتاج كالسكك الحديدية والطرق والموانى والمطارات وطاقات القوى المحركة والسدود ووسائل النقل البحرى والبرى والجوى وغيرها من المرافق العامة فى نطاق الملكية العامة للشعب.

اما فى مجال الصناعة فقد نص الميثاق على انه "يجن ان تكـــون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتهـــا داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب. واذا كان من الممكـــن ان يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكيـــة الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب ان تكون تحت سيطرة القطاع العام المملوك للشعب وفى ظله .

اما الصناعات الخفيفة فيجب ان تظل بمنأى دائما من الاحتكار واذا كانت الملكية الخاصة مفتوحة فى مجالها فان القطاع العام يجب ان يحتفظ بدور فيها يمكنه من التوجيه لصالح الشـــعب وهكذا نجد ان اشتراكيتنا لاتعترض على مبدأ الملكية الخاصـــة فى حد ذاته وانما تهدف الى تمليك الشعب للمشروعات العامـــة والصناعات الثقيلة التى لاتتفق بطبيعتها مع الملكية الخاصـــة كما انها تسمح بالنشاط الفردى والملكية الخاصة فى مجـــال الصناعات الخفيفة بشرط الا يصطبغ هذا النشاط بالصبغـــة الاحتكارية وبشرط ان يسير داخل الاطار العام الذى تحـــدده مصلحة المجتمـــع.

ثانيا : تدخل الدولة فى الحياة الاقتصادية :

سبق ان ذكرنا فى معرض الكلام عن خصائص النظام الرأسمالى ان تدخل الدولة لتنظيم الحياة الاقتصادية اصبح امرا شائعـــا حتى فى الدول العريقة فى الفردية وليس من شك فى ان تدخـــل الدولة فى المجتمعات التى تؤمن بالاشتراكية يكون اشمل واعـــم

واعمق اثرا . وترجع ضرورة تدخل الدولة الى ان النظام الراسمالى الحر يلحق بالغالبية العظمى لافراد المجتمع اضرارا بالغة لا يمكن ان تقف الدولة ازاءها مكتوفة الايدى فتضطر الى التدخل اما لحماية المستهلكين من استغلال المحتكرين اولتوجيه موارد المجتمع فى الاتجاهات الصحيحة التى تتفق مع المصلحة العامة اولغير ذلك من الاسباب التى سنشرحها بالتفصيل فيما بعد .

ثالثا : تحقيق التوازن الاقتصادى عن طريق التخطيط الشامل :

سنشرح عملية التخطيط الشامل شرحا وافيا فى الفصل الثالث من هذا الكتاب ونكتفى هنا بالاشارة الى ان جميع المذاهب الاشتراكية مهما اختلفت درجة اعتدالها اوتطرفها لا تؤمن مطلقا بنظرية التوازن التلقائى بين الموارد والاحتياجات التى يرددها ويعتز بها انصار النظام الراسمالى . وعلى العكس من ذلك فان الاشتراكية تلقى على الدولة عبء التوفيق بين الموارد والاحتياجات عن طريق التخطيط ولا تسمح للاثمان ان تتحكم فى توجيه موارد المجتمع ولا ان تقرر اى الحاجات ستحظى بالاشباع وايها سيكون نصيبها الحرمان كما هو الحال فى النظام الرأسمالى .

رابعا : الاعتماد على البرامج الزمنية للتنمية الاقتصادية فى تحقيق التقدم الاقتصادى :

ذكرنا ان الرأسمالية تعتمد على المباشرة الفردية والمنافسة التى يذكيها حافز الربح فى تحقيق التقدم الاقتصادى ...

وبعبارة اخرى فان المجتمعات الراسمالية على استعداد لترك الطبيعة والاعمال الفردية تاخذ مجراها فى مجالات التنمية الاقتصادية وقد حدث فعلا ان سجلت اقتصاديات بعض الدول الراسمالية كامريكا وانجلترا تقدما كبيرا اعتمادا على الفرص التى كانت متاحة للافراد لتحقيق ارباح طائلة • غير ان هذا التقدم قد حدث فى ظروف لم يعد لها وجود الان كما سنشرح تفصيلا عند الكلام عند انهيار الراسمالية • لهذا فان الاشتراكية تؤمن ايمانا عميقا بان التقدم الاقتصادى لا يتحقق بمجرد الاعتماد على الجهود الفردية التى يحركها حافز الربح وانما يجب ان يتحقق هذا التقدم عن طريق التخطيط الاقتصادى الشامل الذى يهدف الى تعبئة موارد المجتمع وتوجيهها الى الاتجاه الذى يضمن للاقتصاد القومى نموا صحيحا متوازنا •

## خامسا : عدالة التوزيع وتوفير الخدمات:

لعل اهم مايميز النظام الاشتراكى عن النظام الراسمالى هو ان الاول يستند الى فلسفة اجتماعية تنادى بضرورة تحقيق العدالة فى توزيع الثروة وتكافوء الفرص كما تنادى بضرورة تولى الدولة جميع الخدمات الاجتماعية كالتعليم والاسكان والتامين الاجتماعى والصحى ولا تؤمن الاشتراكية بمساعدة الفقراء والضعفاء عن طريق اعمال البر والاحسان وانما تعتبر الاخذ بيدهم من المسئوليات الكبرى الملقاة على عاتق الدولة • فعليها ان تعمل دائبة على القضاء على مشاكل الفقر والجهل والمرض التى تظهر

خطورتها بشكل واضح فى المجتمعات المتخلفة ٠ وتعتبر هذه الفلسفة الاجتماعية من ابرز الخصائص التى تميز اشتراكيتنا العربية فقد سجل الميثاق ( حق كل مواطن فى الرعاية الصحية بحيث لا تصبح هذه الرعاية علاجا ودواء مجرد سلعة تباع وتشترى وانما تصبح حقا مكفولا غير مشروط بثمن مادى ٠ ولابد ان تكون هذه الرعاية فى متناول كل مواطن فى كل ركن من الوطن وفى ظروف ميسورة وقادرة على الخدمة ولابد من التوسع فى التامين الصحى حتى يظل بحمايته كل جموع المواطنين ٠

كذلك نص الميثاق على حق كل مواطن فى العلم بقدر ما يتحمل استعداده ومواهبه واعتبر ان العلم هو طريق تعزيز الحرية الانسانية وتكريمها ٠

كذلك سجل الميثاق حق كل مواطن فى الحصول على عمل يتناسب مع كفايته واستعداده واعتبره تاكيدا للوجود الانسانى ذاته كما نص على ضرورة تحديد حد ادنى للاجور يكفله القانون وحدا اعلى للدخول تتكفل به الضرائب ٠

واخيرا فقد اوصى الميثاق بضرورة توسيع نطاق التامينات ضد الشيخوخة وضد المرض بحيث تصبح مظلة واقية للذين ادوا دورهم فى النضال الوطنى وجاء الوقت الذى يجب ان يضمنوا فيه حقهم فى الراحة المكفولة بالضمان ٠

وهكذا نجد انه بينما تنحصر فلسفة الراسمالية فى ذلك

الصراع الطائش الرهيب الذى يفنى فيه الضعيف فان للاشتراكية عامة واشتراكيتنا العربية بنوع خاص فلسفة اجتماعية تستند الى القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان التى تكفل هداية الانسان واضاءة حياته بنور الايمان ٠وتمنحه طاقات لاحدود لها من اجل الخير والحق والمحبة ٠

## مشاكل التنمية الاقتصادية فى الدول النامية

### تعريف التقدم والتخلف الاقتصادى:

منذ قبيل الحرب العالمية الثانية الى نحو عشر سنوات مضت كان هناك شبه اجماع بين رجال السياسة والاقتصاد على تقسيم العالم الى مجموعتين من الدول طبقا لدرجة التقدم الاقتصادى الذى احرزته كل مجموعة ٠

* المجموعة الاولى: هى مجموعة الدول المتقدمة اقتصاديا : (Developed Countries) وتضم الدول الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا والدول الاستعمارية الكبرى كانجلترا وفرنسا بالاضافة الى عدد كبير من الدول الصغرى اوالمتوسطة التى اكتمل نموها الاقتصادى سواء بالاعتماد على تنمية مواردها الذاتية كسويسرا والسويد والنرويج اوبالاعتماد على استنزاف موارد مستعمراتها كهولاندا وبلجيكا والبرتغال ٠وتمتاز هذه المجموعة

من الدول بعدم وجود مشكلة سكانية تتمثل فى الضغط المستمر للسكان على موارد الثروة كما تمتاز بارتفاع مستواها المعيشى بوجه عام وعلى الخصوص ارتفاع المستوى الصحى والتعليمى لغالبية افراد شعوبها وبالاضافة الى ذلك فانها تمتاز باطراد ازدياد نصيب الفرد من الدخل القومى ( Per Capita Income ) نتيجة لنمو الانتاج القومى بمعدل يفوق الزيادة التدريجية فى عدد السكان ٠ وللدلالة على ذلك نذكر ان متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى الدول الصناعية التى لايزيد عدد سكانها عن ١٥٪ من سكان العالم ازداد من ٩١٥ دولار فى سنة ١٩٤٩ الى ١٥٠٠ دولار فى سنة ١٩٦٠ طبقا لتقارير هيئة الامم المتحدة ٠

* المجموعة الثانية: هى مجموعة الدول المتخلفة اقتصاديا : (under - developed countries) وتضم فى الاساس الدول الزراعية المنتجة للمواد الاولية التى خضعت مددا متفاوته فى الطول للون او اخر من الوان الاستعمار السياسى اوالاقتصادى ثم حصل بعضها حديثا على الاستقلال كالهند والجمهورية العربية المتحدة واندونيسيا وغانا وكاد البعض الاخر ان يحصل على استقلاله التام كروديسيا وكينيا وتنجانيقا ٠ كما تضم هذه المجموعة كذلك عدد كبير من الدول التى كانت ( ومازالت الى حد ما ) خاضعة لاستعمار اقتصادى مقنع يهدف الى توجيه موارد ثروتها الى مافيه مصلحة الدول المستعمرة وتشمل هذه الفئة اغلب دول امريكا اللاتينية كالبرازيل وبوليفيا وفنزويلا والارجنتين وشيلى التى تعتبرها الولايات المتحدة واقعة

فى دائرة مجالها الحيوى وان كانت لم تفرض عليها صراحة اى نوع من الاستعمار السياسى .

وتواجه الاغلبية الساحقة من هذه الدول مشكلة سكانية تتمثل فى الضغط المستمر للسكان على موارد الثروة وفى انخفاض مستواها المعيشى بوجه عام وانخفاض المستوى الصحى والتعليمى لغالبية افراد شعوبها . اما نصيب الفرد من الدخل القومى فى هذه الدول فكان الى عهد قريب اما ثابت او يزيد زيادة طفيفة عاما بعد عام بينما يميل فعلا الى الهبوط فى كثير منها نتيجة لاطراد الزيادة فى عدد السكان وقصور الزيادة فى الانتاج عن ملاحقتها ويؤيد هذه الحقيقة انه يستفاد من البيانات التى ينشرها المكتب الاحصائى التابع لهيئة الامم المتحدة ان متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى الدول المتخلفة التى يزيد عدد سكانها عن نصف سكان العالم لم يزد بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٦٠ الا بنحو ٥٥ دولار فى السنة . ومعنى هذا ان الزيادة فى نصيب الفرد من الدخل القومى فى الدول الصناعية والتى بلغت ٥٨٥ دولار بين ١٩٤٩ وسنة ١٩٦٠ كما سبق ان اوضحنا تزيد على عشرة امثال الزيادة فى متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى فى الدول المتخلفة خلال نفس السنة المدة .

وبعبارة موجزة فان هاتين المجموعتين من الدول تقفان على طرفى نقيض : الطرف الاول يضم الدول الغنية التى تمتلك (The Haves) والطرف الاخر يضم الدول الفقيرة التى لا تمتلك

(The havenots) ومن الجدير بالتسجيل انه حتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم تكن المجموعة الاولى تهتم فى قليل اوكثيـــــر بالمشاكل الاقتصادية للمجموعة الثانية ٠

## تطور التعاون الدولــــــــــى فى الميدان الاقتصـــــادى

بانتهاء الحرب العالمية الثانية انتهى عهد العزلة الاقتصادية بين الدول الغنية المتقدمة والدول الفقيرة المتخلفة اقتصاديـــا واخذت الاولى تقدم صورا مختلفة من صور المعونات الاقتصاديــة كما اخذت الاخيرة تتبادل المعونات فيما بينها ٠

ويمكن تلخيص الصور المختلفة التى اتخذتها تلك المعونات فيما يـــــلى :

* الصورة الاولى : المعونات التى تهدف الى التخلص من فائـــض الانتـــاج فى الدول المتقدمـــــة :

بدأ اهتمام الدول المتقدمة او الدول الغنية باقتصاديـــات الدول المتخلفة عامة وطاقتها الاستهلاكية بنوع خاص يظهر عندمـــا اخذت الاولى تبحث عن اسواق جديدة لمنتجاتها تستوعب الزيـــادة الهائلة فى الطاقة الانتاجية التى خلقتها التعبئة الشاملة للموارد اثناء الحرب العالميه الثانية ثم تحويل هذه الطاقة الى اغـــراض السلم اى الى الانتاج المدنى ٠ ونظرا لان الزيادة التى احدثتها

علىاهدافها الحقيقية ألا وهى تصريف المنتجات الفائضة دفاعـــا عن المصالح الذاتية للاقتصاد الامريكى ٠

* **الصورة الثانية : المعونـــــات المشروطـــــة:**

منذ ان تم تكوين هيئة الامم المتحدة والمنظمات الدوليــــة التى انبثقت منها كصندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشـــاء والتعمير والهيئة الدولية للزراعة والاغذية والهيئة الصحية العالمية وهيئة اليونسكو ٠ بدأت اسباب الاتصال بين الدول فى كلتـــــا المجموعتين تزداد وثوقا نتيجة للاجتماعات المستمرة بينممثليهـــا فى ساحات الامم المتحدة ومنظماتها ونتيجة لارتباطهم جميعـــا بهدف واحد هو الدفاع عن قضية السلام العالمى ٠ وبدأت الفـوارق الصارخة بين مستويات المعيشة فى كل من المجموعتين تظهر بصورة واضحة لايمكن تجاهلها كما ان المشاكل الاقتصادية التى كانـــت تعانيها الدول المتخلفة اخذت تطرح على بساط البحث فـــى المنظمات الدولية بوصفها جزءا منمشاكل السياسة العالميـــة واخذت الدول المتقدمة تشعر بالخطر الذى يتهدد اقتصادياتها نتيجة لاحاطتها بهذه الجموع الغفيرة من السكان التى ترزح تحت اعباء الفقر والجهل والمرض ٠ فالدول من الوجهة الاقتصادية تعتبـر فى الواقع اعضاء فى عالم واحد اومجتمع واحد يتأثر كل عضو فيـــــه بمايصيب الاخرين منكساد اورواج " والفقر فى اى جزء من اجـــزاء العالم يهدد الرخاء فى جميع انحاء العالم " ولهذا السبب اخـذت الدول المتقدمة تتقدم بعروض سخية فىمظهرها لتمويل مشروعات التنمية

الاقتصادية التى تهدف الى زيادة الانتاج ورفع مستوى المعيشة في الدول المتخلفة • غيران التصوير الخاطئ لمشكلة التخلف الاقتصادى الذى لم يكن يخل من عنصر الانانية من جانب الدول المتقدمة جعل هذه الاخيرة تقرن عروضها بشروط تتضمن حصولها على مزايا سياسية اواستراتيجية من الدول التى تتقبل المعونة • ويتلخص هذا التصوير الخاطئ فى اعتبار المشكلة مماثلة فى طبيعتها لمشكلة رجل غنى يتصف بالانانية تحيط به حشود كبيرة من الفقراء فيلجأ الى توزيع الاحسان عليهم اتقاء لما قد يصيبه من شر منهم • لهذا فانه ينتظر من هؤلاء نوعا من الخضوع والولاء والاعتراف بالفضل ويسيئه طبعا ان يظل احد منهم مستقلا عنه اوغير موال له • وهكذا كانت الدول المتقدمة وبنوع خاص الولايات المتحدة والدول الاستعمارية تقدم معوناتها المالية وتشعر بكثير من الدهشة والامتعاض عندما ترفض الدول الحرة الشروط التى كانت تقرن بها هذه المعونات والتى كانت تتضمن طبعا فرض نوع من الولاء السياسى او العقيدى للدول المانحة ان لم تتضمن فعلا بعض مزايا عسكرية صريحة كحق استخدام المطارات والموانى والقواعد الحربية وغيرذلك • ومن الامثلة على هذه المعونات المشروطة المعونات التى تقدمها الولايات المتحدة الامريكية فى الوقت الحالى لتركيا والسعودية وليبيا وتلك التى تقدمها انجلترا وامريكا للاردن وتلك التى عرضت فرنسا ان تقدمها للجزائر قبيل حصولها على الاستقلال وكان نصيبها الرفض • اما المعونة التى عرضتها امريكا وانجلترا معا لتمويل مشروع السد العالى فى اواخر سنة ١٩٥٥ والتى عادتا فسحبتاها معا • وفى نفس الوقت فى شهر يوليو سنة ١٩٥٦

قبل تأميم قناة السويس مباشرة وقبل ان تبت الحكومة بصفة نهائيـــة في قبولها اورفضها • فلم تكن مشروطة بطلب اى امتيازات سياســية او استراتيجية صريحة من مصر وان كانت مقترنة ببعض الشـــــروط التى تنطوى على كثير من التدخل فى شئون مصر الداخلية وعــلى وجه الخصوص فى شئونها المالية والاقتصادية • ونظرا للاهميـــة التاريخية لهذا الموضوع وماكان له من اثر فى دفع عجلة التقـــدم الاقتصادى فى مصر بسرعة مذهلة من جهة وفى تدعيم سياســـة الحياد الايجابى التى انتهجتها حكومة الثورة منذ البدايـــة من الجهة الاخـــرى ••

× × ×

# الفصـــــل الرابــــــــع

# مشـــــكلة التنمية الاجتماعيـــــــــة

# الفصـــل الرابـــع

## مشكلة التنميـــة الاجتماعيـة

حرص علماء الاجتماع في السنين الاخيرة على دراسة قضايـــا التنمية الاجتماعية محاولين تحديد ابعادها وعناصرها ، والتعـــرف على الظروف المهيئة لها . والعوامل المؤدية اليها . والنتائـــج المترتبة عليها . والمعوقات التى تعترض سبيلها وظهرت كتاباتهم تحت عناوين متعددة كالتنمية الاجتماعية . والتحديث او التجديد او المعاصرة Modernization كما ظهر فرع جديد من فـــروع علم الاجتماع يعالج قضايا التنمية عرف باسم علم اجتماع التنميـــة (The Sociology of Development) وقد اعترف به رسميـــا فى المؤتمر الدولى لعلم الاجتماع الذى عقد فى سنة ١٩٦٢ .

ويرجع " ويليرت موروتيل سملزز " الاهتمام بقضايا التنمية الاجتماعية فى الفكر السيولوجى المعاصر الى ما حدث فى دول العالم الثالـــث من تغيرات اجتماعية واسعة النطاق لفتت اليها انظار الباحـــثين الاجتماعيين . ودفعتهم الى الدراسة والبحث لتقديم اضافات مبتكـــرة فى هذا المجال الجديد . وللاستفادة بما يتوصلون اليه من حقائـــق فى تغذية التخطيط العلمى . وفى تقديم المشورات الفنية المتعلقة بالاستراتيجيات الملائمة للتنمية لحكومات البلاد النامية . فيقـــولان فى مقدمة المجموعة التى يصدرانها عن :

## تجديد المجتمعـــات التقليديـــة
## "Modernization of Traditional Societies )

ان القرن العشرين يمكن ان تطلق عليه تسميات مختلفة من بينها انه عصر الحروب العالمية وعصر الشعوب وعصر ثورة التحليل النفسي غير ان احدى التسميات التى لن يغفلها المؤرخون فى وصفهم لهذا القرن هى انه عصر الامم الناهضة . فما لايدع مجالا للشك ان حصول كثير من المستعمرات على استقلالها . وصراعها الدائب للوصول الى مستويات معيشية تصل بها الى مصاف الدول التى تتصف بالغنى والقوة والامن . يعتبر اعظم ثورة من ثورات عصرنا الحاضر .

واذا نظرنا الى العالم فى جملته . فلن نجد موضوعا يشغل تفكير الناس . ويستأثر باهتمامهم مثل هذا الموضوع الذى يتعلق بظهور الامم الجديدة . ورغبتها فى الوصول الى مستوى الامم التى سبقتها فى مجال التقدم .

وقد حرصت العلوم الاجتماعية على دراسة درجة التغير فى هذه المناطق الجديدة كما ان العلماء الاجتماعيين من ناحيتهم كثيرا مايشتركون فى برامج المعونة الفنية لتقديم خبراتهم ونصائحهم المتعلقة باستراتيجيات التخطيط للتنمية .

وقد اتجه علماء الاجتماع والانثروبولوجيا الى دراسة قضايا التخلف والتنمية من خلال تصورات مختلفة . ويعتبر ذلك امرا منطقيا لتعدد مظاهر التخلف . وارتباطها بجميع جوانب الحياة الاقتصادية

والاجتماعية والحضارية ،واختلاف المعيار اوالمعايير التى يتخذها كل منهم اساسا للتفرقة بين التخلف والتقدم وتعدد استراتيجيات التنمية ،فضلا عن اختلافات الاطار المرجعى ، والاساس الايديولوجى لكل باحث .

وتوقفنا الدراسة التحليلية بكتابات السيولوجية لانثروبولوجية فى هذا المجال على اتجاهات متعددة فى دراسة التخلف والتنمية وهذه الاتجاهات هى :

١- اتجاه الثنائيات والمتصلات الاجتماعية والثقافية :

حاول اصحاب هذا الاتجاه فهم قضايا التخلف والتنمية من خلال فكرة الثنائيات التى تقابل بين نوعين مختلفين من المجتمعات احدهما متخلف ،والآخر متقدم . وهذه الثنائيات ماهى الا نماذج وابنية عقلية تصورية وضعت لتكون ادوات ووسائل لوصف وتحليل الوقائع الاجتماعية التى يتميز بها كل مجتمع .

وقد اعتمد اصحاب هذا الاتجاه على الجهود المبكرة التى قام بها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا - منذ مطلع هذا القرن - فى التفرقة بين المجتمعات البسيطة والمجتمعات المركبة . من بين تلك الثنائيات مثلا :ثنائية هنرى مين Henry Maine التى تميز بين مجتمعين يرتكز احدهما على المكانة . بينما يرتكز الاخر على التعاقد . وثنائية فرديناند تونيز ( F. Toennies) التى تميز بين مجتمع تسوده العلاقات الاولية والقرابية

ومجتمع يتسم بالعلاقات الثانوية والتعاقدية •وثنائية اميل دوركايم ؛ التى تميز بين مجتمع يقوم فيه تضامن عضوى ومجتمع يسوده تضامن الى • وثنائية هوارد بيكر التى تميز بين مجتمع مقدس ومجتمع علمانى الى غير ذلك من ثنائيـــــات•

وقد اتجه اصحاب هذا الاتجاه الى وصف المجامعات الناميـة بنفس الاوصاف والخصائص التى تتصف بها المجتمعات البسيطـــة او التقليدية • بمعنى ان المجتمعات النامية تتصف بصغر الحجـــم والتجانس• والعزلة • والارتباط حول العائلة • وسيادة العلاقات الاولية • وغلبة الضوابط غير الرسمية • والمحافظة •والثبات النسبى • وبطء التغير • ثم يمضى اصحاب هذا الاتجاه خطوة اخرى فى طريق التحليل • فيقومون بعزل الخصائص السلبية عن الخصائص الايجابية على اساس ان الخصائص السلبية هى الخصائص المحددة للتخلف • • • ويتصور انصار هذا الاتجاه ان عملية التنمية تتمثل اساسا فى تخلــص المجتمع المتخلف من الخصائص السلبية واكتسابه لخصائص النمــوذج المتقـــدم •

وفى رأينا ان هذه الثنائيات تفيد فى وضع حدود فاصـــــلة بين كل من المجتمعات النامية والمجتمعات المتقدمة • الا ان الواقـــع الامبيريقى قد لا يتفق معها فى بعض الاحيان باعتبارها ثنائيـــات مثالية يمكن الاستفادة بها فقط كادوات منهجية لازمة لعمليات الفهم والتحليـــــــل •

## ٢- اتجـــاه المؤشـــــرات:

يعتبر هذا الاتجاه وثيق الصلة بالاتجاه الاول ، لان اصحابه يستندون الى مجموعة من المؤشرات Indicators الكمية اوالكيفية فى التفرقة بين المجتمعات النامية والمجتمعات المتقدمة .

والمؤشر - فى المفهوم اللغوى - هو الذى يظهر او يوضـــح اويدل ، وهو من الناحية العلمية يعكس بشكل مباشر اوغيرمباشـــر المقادير غير القابلة للقياس المباشر اوالملاحظة المباشرة ، ومــــن المؤشرات مايعكس الواقع القائم ومايعبر عن اتجاهات عامة .

وقد سبقت الاشارة الى ان بعض المفكرين يعتمدون على مؤشـــر واحد يخلعون عليه اهمية كبيرة ويجعلونه اساسا للتفرقة بيــــن المجتمعات النامية والمجتمعات المتقدمة ، بينما يعتمد مفكرون اخرون على مجموعة من المؤشرات للتفرقة بين التخلف والتقدم ، ولعل اكمل محاولة من هذا النوع تلك التى قام بها " Raw "

فقد حدد مجموعة من المؤشرات ونذكرها فيما يلى :

١- المؤشرات الديموجرافية : كمعدل المواليد والوفيات والخصوبـــة والنمو والهجرة الداخليـــــــة .

٢- الصحة والتغذية : وتشتمل على معدل وفيات الرضع ، ونسبـة المواليد الاموات وتوقعات الحياة ومعدل انتشار الامراض .

٣- مؤشرات الاسكان والبيئة : وتتمثل فى النسبة المئويـــــة

للاسر المحرومة من المسكن ودرجة التزاحم فى المسكن ووجــود المياه والمرحيض والكهرباء فى المسكن .

٤ـ مؤشرات الدخل والاستهلاك والثروة : كمتوسط دخل الاسرة . ونفقات الاستهلاك للفرد . وتوزيع الاراضى بين مختلف طبقـات الشعب .ونسب الاسر التى تمتلك سلعة استهلاكية معمــرة مثل السيارات والثلاجات .

٥ـ مؤشرات العمالة وظروف العمل والضمان الاجتماعى وتتمثــل فى النسبة المئوية للمستخدمين من السكان الذين فى سن العمل وساعات العمل . والاجور . والكسب والاجازات وايام العمــل الضائعة بالنسبة لكل عامل .

٦ـ مؤشرات التعليم والثقافة : وتتمثل فى نسب القيد الاجمالــى فى المدارس على اختلاف مستوياتها وحملة الدرجات الجامعيــة وتوزيع الجرائد اليومية .وسعة دور السينما بالنسبة للسكان .

٧ـ الدفاع الاجتماعى والرفاهية الاجتماعية : وتتمثل فى معـدلات الجريمة وانحراف الاحداث وخدمات الرعاية الاجتماعية .

وقد يتخذ اتجاه لمؤشرات شكلا كيفيا .وذلك عن طريق المقابلة بين نمطين مختلفين من المجتمعات .احدهما متخلف والاخر متقدم كما هو الحال فى اتجاه الثنائيات . وبذلك تصبح التنمية عمليــة اجتماعية تهدف الى اكساب المجتمع المتخلف خصائص النمط المتقدم

ومن بين المفكرين الذين قدموا اسهامات فى هذا المجال " بيرت هوسيلتز " و " نيل سملزر "

اعتمد هوسيلتز على متغيرات النمط Pattern Variables التى حددها بارسونز ، وركز على عناصر ثلاثة هى :

١ـ الخصوصية والعمومية : يعامل الفرد فى المجتمعات التقليدية وفقا لمعايير ذاتية ، ولذا توزع الاعمال والاختصاصات لا على أساس الكفاءة والخبرة ، ولكن وفقا لاعتبارات شخصية وعائلية اما فى المجتمعات المتقدمة فان توزيع الاعمال والاختصاصات يخضع لاعتبارات عامة بحيث يعين الافراد فى المراكز المختلفة على اساس الكفاءة او الاقدمية او الاثنين معا ، وبحيث يخضعون لمعايير محددة يلتزمون بها ، ويسيرون وفقا لها .

٢ـ الانتساب والاكتساب : ترتبط الاقتصاديات المتأخرة بالمكانات المنسبة بحيث ان توزيع السلع والخدمات لا يتم على اساس الجهد الذى يبذله الافراد ولكن على اساس العلاقات القرابية القائمة فى المجتمع ، اما المجتمعات المتقدمة فان الوضع يختلف حيث يصبح الجهد والاكتساب معيارا لتوزيع السلع والخدمات .

ويترتب على ذلك ان المجتمعات المتقدمة تحتاج الى تنمية مواردها البشرية من حيث الاعداد الفنى ، والتخصص الوظيفى والتدريب المهنى .

٣ـ التخصص والامتداد : لا يؤخذ بمبدأ تقسيم العمل فى المجتمعات التقليدية ، ويعتبر ذلك سببا ونتيجة لانخفاض مستوى الانتاجية

اما فى المجتمعات المتقدمة فان ظاهرة التخصص وتقسيم العمل تظهر بوضوح بحيث يتخصص كل فرد فى اداء جزء دقيق ومحدود من العملية الانتاجية .وغالبا مايتم توزيع الاعمال وفقا للكفاءة والمهارة الفنية .وقد اشار الى هذه الخاصية كثيرون من المفكرين الاجتماعيين . نذكر من بينهم اميل دوركايم فيما كتبه عن ظاهرة تقسيم العمل . فقد اشار الى وجود نوعين من المجتمعات البسيطة والمجتمعات المركبة . وقال بان المجتمعات البسيطة لاتخضع لمبدأ تقسيم العمل . وتتم فيها الوحدة بين الافراد بطريقة عضوية .

كما اشار كارل ماركس الى وجود أنواع ثلاثة من تقسيم العمل اطلق عليها التقسيم العام للعمل . والتقسيم الخاص للعمل .والتقسيم التفصيلى للعمل . وقد اشار الى ان النوع الاخير من تقسيم العمل يقوم على اسس ومبادئ تتصل بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ذاتها ويظهر فى المجتمعات المتقدمة حيث تتعقد الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وحيث يصل المجتمع الى درجة من التنظيم يتمكن معها كل عضو من اعضاء المجتمع من ان يكرس وقته وجهده لممارسة جزء واحد من العملية الانتاجية .

ويذهب كلوسيلتز الى ان التنمية تتمثل فى استيعاب المجتمعات النامية لمتغيرات النمط السائدة فى الدول المتقدمة .والتخلى عن متغيرات النمط الشائعة فيها .

كما قام " سملزر " بمحاولة مشابهة فى تحليله لميكنزمات التغير والتكيف للتغير . وفى تنظير عملية التحديث .

بدأ سملزر ينقد النظريات الاقتصادية التى تركز على التفاعل بين المتغيرات الاقتصادية وحدها كالادخار والاستثمار والاستهلاك والانتاجية والتنظيم واشار الى اهمية المتغيرات السيولوجية كنسق القرابة • والترتيب الطبقى • والوضع السياسى • وتأثيرها على المتغيرات الاقتصادية •

فيذهب ـ مثلا ـ الى ان الادخار له جانبان : احدهما يتعلق بمستوى الادخار • بينما يتعلق الثانى بصورة المدخرات • ويتأثر مستوى الادخار بمستوى الدخل وتكاليف المعيشة • بينما تتأثر الصورة التى تواجه بها المدخرات المتاحة الى وجوه الاستثمار بالقيم والاتجاهات السائدة والتى تدعو فى كثير من الاحيان الى الانفاق على الاستهلاك التفاخرى الذى لا يسهم ايجابيا فى رفع مستوى الرفاهية المادية للافراد كاقتناء الحلى • واكتناز الذهب • او ضغط الاموال بأية صورة لا تساعد على استثمارها فى مشروعات اقتصادية منتجة كما تتأثر اشكال الادخار بالاوضاع الطبقية وانساق القرابة القائمة فى المجتمع •

فبالنسبة لتأثير الاوضاع الطبقية على الادخار والاستثمار • يلاحظ ان المكانات الاجتماعية فى اغلب المجتمعات الريفية ترتبط بملكية الارض • ولذا فان المثل الاعلى للغالبية العظمى من سكان تلك المجتمعات هو ان يضيفوا الى ملكيتهم ارضا جديدة • ولذا يتجه الادخار اساسا الى شراء الارض الزراعية الذى يعتبر من مفاخر العائلة • والذى يكسبها مكانة اجتماعية مرتفعة •

اما بالنسبة لنسق القرابة • فيشير سملزر الى ان المجتمعات

الريفية والقبلية بنظمها الاجتماعية التى تتركز حول نسق القرابـــة والمجتمع المحلى والدين تقف عقبة فى طريق التجديد والابتكار ٠

ويذهب يملزر الى ان المجتمعات النامية ـ التى تأخذ بأساليب التنمية ـ تتجه نحو التباين البنائى والتكامل ٠ فالتحديث ـ فـــى نظره ـ يتضمن حدوث تغيرات فى المتغيرات الديموجرافية والتكنولوجية والاسرية والدينية وغيرها من جوانب الحياة الاجتماعية ٠

فمن الناحية الديموجرافية تاخذ المدن فى الانتشار وتزداد ـ الهجرة الى المناطق الحضرية ٠ ومن الناحية التكنولوجية يأخذ الفـــن الانتاجى فى التقدم والتعقيد ٠ ويزداد التخصص وتقسيم العمـــــل ومن الناحيه الاسرية تحل الاسرة الزواجية البسيطة على الاســـــرة المركبة ٠ ومن الناحية الدينية يضعف تاثير الدين على الافراد وتنحـــو المجتمعات نحو الاخذ بالاتجاهات العلمانية ٠

ويترتب على التغيرات السابقة ـ فى نظر سملزر ـ حدوث تفكك فى القيم والعلاقات والنظم الاجتماعية مما يستلزم ايجاد نـــــــوع من التكامل فى اطار القيم السائدة او بين مكونات البناء الاجتماعى ٠

٣ـ الاتجـــاه التطورى المحدث:

اعاد بعض المفكرين الاجتماعيين المعاصرين احياء فكرة المراحل التطورية التى تمر بها المجتمعات والتى تذهب الى ان المجتمعات تسير بالضرورة فى تطورها خلال مراحل معينة مرسومة بدقة بحث تترتب كل مرحلة منها على المراحل التى سبقتها ٠ وبحيث تهيىء المرحـــلة

القائمة للمراحل التي تتلوها في سلم التطور . نذكر من بين هـؤلاء المفكرين المحدثين والت روستو فيما كتبه عن مراحل النمو وماكتبه ولاس Wallace عن حركات الاحياء الانبعاث وعلاقتها بالتنمية .

يذهب روستو الى ان المجتمعات البشرية لابد لها من ان تمر في مراحل خمسة حتى تصل الى درجة عالية من النمو . وهذه المراحل هي :

مرحلة المجتمع التقليدي : ومرحلة التهيؤ للانطلاق : ومرحلة الانطلاق : ومرحلة الاتجاه نحو النضج : ومرحلة الاستهلاك الوفير .

اما ولاس فيركز على مراحل التغير الثقافي على اساس ان الانتشار الثقافي عامل اساسي من عوامل التغير والتنمية . ويشير الى وجود دورة للتغيرات في مراحل خمسة هي :

١ ـ مرحلة الثبات او الاستقرار : وهي التي تكون قائمة قبل حدوث التغير وتتسم بوجود حالة من التكامل والتوازن بين عناصر الثقافة السائدة وفي هذه المرحلة يجيز المجتمع جميع الانماط الثقافية القائمة مادامت قادرة على اشباع احتياجات الافراد والجماعات .

٢ ـ مرحلة تزايد الاحتياجات الفردية : تاخذ احتياجات الافراد في التزايد وتعجز الانماط الثقافية القائمة عن ملاحقة التزايد المستمر في الاحتياجات الفردية . ويتطلب هذا حدوث تغيرات في الانماط الثقافية القائمة لتكون اكثر قدرة على اشباع الاحتياجات المتزايدة .

٣- مرحلة التحريف الثقافى : Cultural Distortion

حينما تعجز الانماط الثقافية القائمة عن ملاحقة احتياجات الافراد . يتجه المجتمع الى استيراد انماط ثقافية من مجتمعات اخرى يتصور انها كفيلة بتحقيق التنمية . غير انه يفاجأ بحدوث تعارض بين الانماط الثقافية الجديدة والانماط القديمة مما يترتب عليه صعوبة امتصاص وهضم العناصر الجديدة وحدوث عملية تحريف لعناصر الثقافة الاصلية . ويكون ذلك تحديا اساسيا للمجتمع.

٤- مرحلة الاحياء : Revitalization

يحاول المجتمع ان يعيد توازنه عن طريق احياء عناصر ثقافته القديمة مع الاستفادة بالعناصر الثقافية الجديدة التى اثبتت فعالية ونجاحا . وعلى الرغم من كثرة التحديات التى تواجه المجتمع فى هذه المرحلة فانه يستطيع ان يجابهها بنجاح عن طريق القضاء على الروتين الذى هو من الد اعداء التنظيم . والاهتمام بوسائل الاتصال وتقبل العناصر والسمات الثقافية المفيدة وبذلك تتم عملية التحول الثقافى .

٥- مرحلة الثبات والاستقرار الجديدة : حينما ينجح المجتمع فى اعادة التوازن بين عناصر ثقافته يعود الى حالته الطبيعية وتشمله حالة من الثبات والاستقرار وتختلف عن الحالة التى كان عليها من قبل . حيث انه يكون قد قطع شوطا كبيرا فى الطريق المؤدية الى التنمية .

هذا وتشير كثير من الشواهد الى ان المجتمعات الانسانيـــة لاتسير وفقا لخط محدد للتطور وليس من الضرورى ايضا ان يســير كل مجتمع فى نفس مراحل التطور . ومن هنا فان النمط التطورى للنمو لم يعد يحظى باهتمام كبير من جانب علماء الاجتماع المعاصرين .

٤ـ الاتجـــاه الانتشـــارى:

يذهب اصحاب هذا الاتجاه الى ان التنمية يمكن تحقيقهــــا عن طريق الاتصال والانتشار الثقافى (Cultural Diffusion) وذلك من خلال انتقال العناصر الثقافية من الدول المتقدمة الـــى المجتمعات النامية . ومن ابرز ممثلى هذا الاتجاه " جى باربيشون (Guy Barbichon) الذى ناقش فى بحث له بعنـــوان التغيير الاجتماعى بين التقليد والتجديد . تأثير النماذج الخارجية فى عمليات التغيير فيقول :

" انه سواء اقبل التغيير بالترحيب او فرض بالقوة فان اسهل وســيلة لاحداثه هى المحاكاة . غير ان التغيير القائم على المحاكاة يكـــون خطرا بوجه خاص اذا فرضت قيود صارمة على وسيلة الانجاز . لا عـلى الاهداف وحدها فاختيار اهداف بالغة العمومية والبعد . نقلا عـــن مجتمعات اخرى . يتيح بطبيعته مجالا للابتكار فى اختيار الوسائـــل التى تستخدم . ويصدق هذا فى شأن اهداف مثل رفع مستوى التعليم اوتحسين ظروف المعيشة اوالعدل فى توزيع المنتجات . فنمـــوذج الاهداف المستوردة يكون نافعا بقدر مايحفز الى البحث عن طـــرق جديدة مبتكرة للتنفيـــذ .

أما حين تحاكي وسيلة احداث التغيير محاكاة بلهاء ـ مثلا في التزام نمط حديث لتخطيط المدن ، او شروط الالتحاق بالمدارس او نموذج التصنيع ـ فان اخطار اختلال التوازن سوف تتضاعف ، فلأسباب مادية او نفسية يظهر عدم ملاءمة الوسائل للموقف الذي تطبق فيه ،وقد تنتهي محاولة المحاكاة بالتدمير التام لشيء كان الامل معقودا بحفظه وتحسينه ،

ومن الصعوبات التي تعوق التغييرات السريعة وجود مفارقة بين النماذج التي يحتذيها التغيير وبين الواقع ، سواء من حيث الوسائل اوالغايات ، ففي حالة التغيير المستقل ، ويقصد به التغيير الناجم عن مبادرة مستقلة نسبيا لفرد اومجموعة افراد ـ يكون لدى محدثي التغيير نموذج للهدف النهائي ، ولكن في معظم الحالات لا يكون لديهم نموذج متماسك لعملية الوصول الى هذه الغاية النهائية

وينبغي ان يكون التغيير المتعمد ذا اصالة فيما يتعلق بالوسائل وهناك من الاسباب ما يدعو الى الاعتقاد بان امكانياته المبتكرة يمكن ان تستغل ايضا على مستوى الاهداف ، فالبلد الذي تسوده الاشكال البدائية في الانتاج والتبادل يكون من الخطر ان يقرر حكامه محاكاة بلد غني مصنع ، فالنموذج المحتذى قد لا يكون واقعيا ، او قد يكون بعيد التحقيق او قد يكون غيره انسب منه ،مما قد يسفر عنه البحث ،

وتستلزم النتيجة الايجابية للتغيير الجذري تدبر امرين : الاثر السالب للمقابلة والموازنة بين نماذج عدة ، والطبيعة الحرجة لمراحل الانتقال ، فالمقابلة والموازنة بين النماذج تقلل من فرص

مجال التغيير . فاذا كان عدد من المسالك ممكنا . فان هذا يؤدى الى قيام آمال متصارعة عند من يستهدف فهم التغيير . وقد يؤدى اختيار نموذج واحد الى خلق الاحساس بان التغيير مفروض . فلا مجال للقلق والحيرة . وكثيرا ماتعانى البلاد النامية اشد المعاناة من آثار التقابل المباشر بين آخر صيحة فى العمارة الحديثة وبين مدن مؤلفة فى الاغلب الاعم من أكواخ . والتعارض بين الطلب على صغار الموظفين الكتابيين وعلى العمال اليدويين البالغى المهارة .... وهكذا .

وخلال فترات الانتقال تزداد الحساسية نحو التغيير قوة وحدة فمادام الماضى قد ولى . واقبل مستقبل غير مألوف فان الحاجة تشتد الى نماذج للاحتذاء . والى تبديد اى غموض او لبس فى الموقف .

والخلاف بشأن الاهداف نواجهه ايضا فى شأن الوسائل ... فمحاكاة الوسائل قد تثير توترا شديدا حين تتحطم الامال المعقودة بهذه الوسائل على صخرة الحقائق . ولكن اذا استخدمت طريقة مبتكرة للاحتفاظ بالمرونة والطواعية فى مواجهة المواقف فان الصعوبات تنشأ فى المرحلة التى يتعين فيها اثبات سلامة الوسيلة . وهذا أمر بالغ الصعوبة لقلة السوابق او انعدامها .

وتتضمن الحاجة الى بناء نماذج قوية الحاجة الى ايجاد منظور زمنى جديد لتقليل دواعى القلق خلال مواقف التغيير . وقد يكون هذا المنظور خداعا او مضللا عن عمد . فالمبادرات الاجتماعية التى تجر المجتمعات الى الدمار تكون غالبا من وحى تصورات زعيم ملتهب العاطفة والسراب قد يخدع اشد السابلة حرصا . اما فى الظروف الاكثر واقعية

فان " الخطط " التى تواجه حاجة عملية للتعبير عن العمل زمنيا تجعل من الممكن التحول بالوان قد لاتكون زاهية دائما ٠ولكنها تبعث على الطمأنينة وسواء كان البرنامج يتعلق بالتطوير الاجتماعى اوالاقتصادى اواقامة مؤسسات سياسية اوادخال تغييرات تكنولوجية فان للخطة ميزة تداخل الاهداف والوسائل فى صورة موحدة للمستقبل ٠ .

والخطة الطويلة والبرنامج المحسوب المدروس يساعد ان كل بطريقته فى القضاء على النظرة السلفية الخرافية واحلال نظرة مستقبلية محلها والنظرة السلفية تميل الى تصوير الماضى على انه العصر الذهبى ٠ وعلى صانعى التغيير ان يستحدثوا نظرة تناقض هذه ٠ على ان لاتكون سرابية والطريقة التى يلجأ اليها الثوار السياسيون الاجتماعيون الذين يربطون حركتهم باحد الاعراف الشعبية يكون من آثارها تحقيق حاجة الانسان الازلية الى الامن ٠ بينما هى فى الوقت نفسه تحاول ان تقدم وعلى نحو مستمر ـ آفاقا جديدة للمستقبل ٠

وفى الوقت الذى يناقش فيه " جى باريشون " تاثير النماذج الخارجية على عمليات التغيير موضحا خطر التغيير القائم على المحاكاة للاهداف والوسائل من غير تجديد اوابتكار ومطالبا بوضع نماذج واقعية لها طبيعة عملية تبعث على الطمأنينه ٠وتقدم آفاقا جديدة للمستقبل ٠ نجد مفكرين آخرين يذهبون الى ان المجتمعات النامية لابد لها من ان تحتذى نموذج المجتمع الغربى ٠ كما ان التاثير الذى تمارسه المجتمعات الغربية على المجتمعات النامية سوف يؤدى بالضرورة الى ان تصبح مماثلة ٠ بصورة او باخرى ـ للمجتمعات المتقدمة ٠

وعلى الرغم من اهمية الانتشار فى نقل بعض السمات والعناصر الثقافية من مجتمع الى آخر • فان تقليد نمط الحياة الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمعات المتقدمة قد يحدث تاثيرا ضارا على الاوضاع السائدة فى المجتمعات النامية •

وليس ادل على ذلك من المثال الذى يسوقه " موتوانى " عن " أثر التكنولوجيا الحديثة على الحياة التقليدية فى جنوب شرق آسيا" والذى يوضح فيه الآثار السيئة التى حدثت للسكان فى تلك المناطق نتيجة لتقليد نمط الحياة الغربية • يقول :

" لقد كانت تربية الشعوب فى هذه المناطق تعدهم للعالم الاخر اما الحكام فقد حاولوا تدريبهم ليعيشوا ليومهم • ولكى يتبنوا طرق الحياة الغربية • وان يتعلموا وسائل الغربيين فى مجال العمل لقد كانت السمة التكاملية لمعرفتهم وثقافتهم غير موجودة وكان الحكام يفرضون عليهم تعليما يركز على اتجاه موحد بعكس الاحتياجات الاقتصادية والسياسية والصناعية • ويتناول بالتمجيد والتعظيم تاريخ اوربا • وكان الحكام يتخذون الوسائل والاساليب التى تمكنهم من بلوغ غاياتهم واهدافهم • ثم جاءت التكنولوجيا فى جانبهم لقد سهلت المطبعة لهم طبع الكتب التى تتحدث عن بلادهم بكميات هائلة • وباسعار منخفضة •وفى هذه الكتب ذهبوا الى التمجيد الجماعى لبلادهم وثقافتهم •لقد كانت جغرافية وتاريخ وادب الغرب ونظرياته الاقتصادية والسياسية والدينية ــ وهى مواد لاصلة لها باحتياجات الطالب وتجاربه ــ تحشد فى عقله وتمثل عبئا ثقيلا على ذاكرته

وقد هبط التعليم الى مستوى الدعاية وذلك من اجل التاثير على مجرى التطورات الاجتماعية فى تلك البلاد .

وكان الالوف من الشباب — ذكورا واناثا — يذهبون الى بلاد الغرب ليكملوا تعليمهم وكانت بلادهم تتكلف فى سبيل ذلك الوف الملايين من الروبيات وعند عودتهم كانوا يصبحون بمثابة مراكز للحراسة الثقافية او يعملون كباعة لمنتجات البلاد التى ينتسب اليها حكامهم ونظرا لوجودهم فى وسط تكنولوجى متاخر فقد اصبحوا متحمسين للموءسسات والمثل الغربية وكانوا حين يقومون بالاعمال الادارية الحكومية ينفذون سياسة حكامهم ويدخلون النظرة الغربية فى التعليم والطب والقانون والعلوم بطرق اكثر فاعلية واشد تاثيرا على مواطنيهم فى اتجاه الاساليب الجديدة للحياة اكثر مما كان يستطيعه الغربيون

ويقول عن نظام الامتحانات : ومنذ ان اصبح التعليم الغربى ضرورة لابد منها من اجل الاشتغال فى الخدمة الحكومية اصبح للامتحانات اهمية كبيرة . ان نظام الامتحانات فى جميع آسيا الجنوبية الشرقية يعتبر قاسيا ومضيعا للوقت والجهد . واستنادا الى الارقام التى جمعها كاتب البحث عن المدد من سنة ١٩٣٥ الى ١٩٤٠ فان مايقرب من نصف مليون يرسبون سنويا فى الامتحانات التى تلى الدراسة الثانوية فى الهند . واذا افترض ان والد كل طالب كان يصرف مايقدر بنحو ٥٠٠ روبية تقريبا على ابنه فى العلم فان الآباء الهنود يكونوا قد اضاعوا ٢٥٠ مليون روبية . والى هذا الرقم ينبغى اضافة مقدار معادل صرفته الحكومات والوكالات العامة على مرتبات المدرسين وتكاليف المكتبات والمعامل والجهاز الادارى .

ويقول عن فلسفة التعليم الغربية واثرها فى الحياة فى جنوب شرقى آسيا : يكشف التحليل الدقيق للفلسفة التعليمية الجارية فى هذه البلاد فى الازمان السالفة عن تآلف ممتاز بين الفنون والعلوم فى كل من المادة والروح ٠ اما الفصل بين هذين الفرعين للمعرفة البشرية وهو ما أبداه أرسطو فى الغرب وبلغ ذروته فى عهد السيطرة التكنولوجية فقد كانت له ردود فعل على الفلسفة التعليمية والعلمانية لبلاد جنوب شرقى آسيا مما نتج عنه تمويع الفنون الحرة والانسانية وتمجيد العلوم الطبيعية كلها لمشاكل الوجود الطبيعية ٠ وتبعا لهذه النظرة العلمية والعلمانية للانسان والكون تعتبر دنيا الحواس عالم الحقيقة ٠ فالمادة هى كتلة من الجزئيات ٠ والحياة حركة للقوى الميكانيكية والروح الانسانية مجموعة من الاستجابات الشرطية ٠ مركبات معقدة وغدد ـ والقيم هى مايفعله المجتمع فى الاوقات والامكنة المختلفة كذلك فان الدين يعتبر نجاء وفرارا ٠ اما الموت فانه يسدل الستار عن قصة الحياة ٠ ومن هنا فان جميع العلوم التى تختص بمشكلة الوجود قد وجدت مبررها وسندها ٠ وحينما كانت تقدم الى الطلاب فى هذه البلاد فانها كانت تؤدى ـ بدون استثناء ـ الى انحلال فى الشخصيا التى كانت تجد متاعها فيما مضى فى النظرة الروحية للحياة

ويعلق " موتوانى " على الآثار التى احدثتها الاساليب الغربية فى حياة الاهالى فى جنوب شرقى آسيا بقوله : لقد كانت النتائج ميتمحقا وكان الاثر قويا وهذا اما فى نفس الوقت ٠

ومن الامثلة الاخرى التى يمكن ان تساق فى هذا المجال ماحدث لبعض القبائل فى استراليا ٠ اذ حاول المبشرون ادخال ـ

تغييرات على حياة الافراد ، ووزعوا عليهم سلعا كثيرة من بينها الفأس المصنوعة من الصلب ، غير ان الفأس الحجرية كانت أداة العمل التقليدية في القبيلة ، كما كانت علامة من علامات سيادة الذكور وارتفاع مكانتهم في القبيلة فلم يكن في استطاعة اية امرأة ان تمتلك فأسا وكان عليها ان تستعيرها من زوجها أو أبيها ، ونظرا لان الفاس كانت اهم اداة في القبيلة فانها لعبت دورها في العلاقات التجارية ، وفي الحفلات التي كانت تقام بين الحين والحين ، غير ان المبشرون لم يكترثوا لهذه العوامل ، ووزعوا الفؤوس المصنوعة من الصلب على الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، وعندما تسلمت النسوة هذه الفؤوس اعتبرنها ملكا لهن بالرغم من انهن كن عاجزات — بمقتضى نظام القيم المعمول به في القبيلة — عن امتلاك الفأس المصنوعة من الحجر .

وبعد ان كان رجال القبيلة يطلبون من الرجل المسن — في احترام — ان يعيرهم فأسا ، اصبح مضطرا في كثير من الاحيان الى الاعتراف بجودة الفاس المصنوعة من الصلب ، واستعارتها من شاب او امرأة ، واختلطت المفاهيم المرتبطة بالمكانة والهيبة ، يضاف الى ذلك ان الحفلات التي تقام للحصول على رؤوس الفؤوس فقد تهدد مها الرئيسي ، وقل عدد المترددين عليها ، وهكذا ادت التغييرات السابقة الى تفكك العلاقات الاجتماعية والى تغير الاوضاع والمكانات السابقة

يتضح من الأمثلة السابقة أن من الصعوبة بمكان نقل نمط ثقافي من مجتمع معين وتطبيقه بنفس الصورة في مجتمع آخر ، نظرا للاختلافات الكثيرة في الظروف الاجتماعية ، والملابسات القومية

التى تميز المجتمعات بعضها عن بعض ،فمايصلح للتطبيق فى مجتمع معين قد لا يصلح للتطبيق فى مجتمع آخر . ومايقبل التطبيق فى زمان معين قد لا يقبل التطبيق فى زمان آخر .

## ٥ـ الاتجاه السيكلوجى :

يفرق اصحاب هذا الاتجاه بين المجتمع العصرى والانسان العصرى على اساس ان العصرية اذا اتصف بها المجتمع فانها تعنى "مجموعة الخصائص البنائية التى تميز المجتمع العصرى عن المجتمع التقليدى" واذا اتصف بها الفرد فانها تعنى "مجموعة الاتجاهات والقيم واساليب الشعور والعمل التى تتطلبها المشاركة الفعالة فى مجتمع عصرى" .

ويذهب هؤلاء الى ان تحديث الانسان يسبق تحديث النظم الاجتماعية . فيركزون على الخصائص السيكلوجية للافراد والجماعات باعتبارها عاملا اساسيا فى التنمية . فالتنمية ـ بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية تستلزم الاعتماد على التخطيط المركزى ،والاستعانة بجهاز بيروقراطى كفء والاخذ بالاسلوب العلمى . واستخدام التكنولوجيا المتقدمة وتغليب الاتجاهات العقلانية الرشيدة وهذه الخصائص تستلزم توافر مجموعة من السمات الشخصية والقيم والاتجاهات العصرية حتى يمكن البدء فى التنمية ،وتحقيقها بنجاح .

وبناء على ذلك يحاول اصحاب هذا الاتجاه تحديد الخصائص السلوكية التى يتسم بها الانسان العصرى . وقد اقترح "اليكس انكليس"

قائمة بتسع خصائص سلوكية هـــــى :

١ـ الانفتاح نحو التجديد والتغيير .
٢ـ الرغبة فى التصرف على المشكلات والقضايا الداخلية والخارجية
٣ـ الاتجاه نحو الحاضر والمستقبل اكثر من الاتجاه الى الماضى
٤ـ الاخذ بالتخطيط كاسلوب لمواجهة المواقف المختلفة
٥ـ القدرة على التحكم فى البيئــــــــة
٦ـ الثقة فى قدرة الغير على انجاز الواجبات وتحمل المسئوليات
٧ـ احترام كرامة الآخـــــــرين .
٨ـ الثقة فى العلم والتكنولوجيـــــــــا .
٩ـ تقدير الافراد على اساس العمل والانجـــــاز .

اما الانسان التقليدى ـ فى نظره ـ فهو الذى يتسم بخصائص تتناقض مع الخصائص التسعة السابقة .

كما اقترح "كومار Kumar فى استعراض لماكتب عن الانســان المصرى اثنتا عشرة خصيصة سلوكية . واقترح "جنرميردال" ـ عــلى اساس من دراسته المستفيضة عن دول جنوب آسيا ـ قائمة بثلاث عشرة خصيصة سلوكية تتداخل الى حد ما مع قائمة انكليس . كما اقترح : كـال ( Kahl ) فى دراسة له عن القيم فى البرازيل والمكسيك اربع عشــرة خصيصـــــــة .

ومع ان الاتجاه الذى يركز على السمات الشخصية للانســـان المصرى تؤيده كثير من الشواهد الامبيريقية الا ان هناك من المآخذ ما يوجه اليه .نذكر اهمها فيما يلى :

١ ـ تقوم التفرقة بين الانسان العصرى وغير العصرى على اسس تعسفية فضلا عن عدم وجود قائمة ثابتة تحدد سمات الشخص العصرى كما ان من الصعوبة بمكان ان نجد انسانا نمطيا يمكن ان يطلق عليه الانسان العصرى .

٢ ـ يحدد الباحثون الغربيون سمات الانسان العصرى على اساس الخصائص التى يفترضونها فى الانسان الغربى الآن وربط التحديث والمعاصرة بطريقة الحياة الغربية فيه نوع من التحيز . وقد لا يفيد الدول النامية كثيرا لاختلاف الظروف والملابسات القومية فى كل منها عن الظروف التى كانت سائدة فى المجتمعات الغربية قبل ان تأخذ باسباب التصنيع .

٣ ـ لما كانت العناصر الثقافية تختلف باختلاف المجتمعات النامية فان القول بان مجموعة واحدة من التوجيهات السلوكية كفيلة بتحقيق التنمية لا يلقى موافقة من كثير من المفكرين وبخاصة فى المجتمعات النامية . ثم ان هذه الخصائص والسمات السلوكية قد تتفاعل بطريقة مختلفة مع الثقافات المتنوعة للدول النامية بحيث تؤدى الى ظهور انماط متباينة من الشخصيات والى تشكيل نماذج مختلفة من المجتمعات .

٤ ـ يحتاج قياس الخصائص السلوكية المشار اليها الى وسائل دقيقة للقياس . وعلى الرغم من الجهود التى بذلت فى هذا المجال فان المقاييس المستخدمة لا تزال فى حاجة الى كثير من التعديل والتطوير حتى تصل الى درجة عالية من الصدق والثبات .

والى جانب السمات الشخصية لافراد المجتمع ،يركز بعض المفكرين على الخصائص والسمات الشخصية للصفوة الحاكمة ،وعلى الدور الذى يقوم به " المجدد أو المنظم أو المبتكر " فى دفع عجلة التنمية نذكر من بين هؤلاء "شومبيتر Schumpeter وماكليلاند McClelland وافرت هاجن ( E. Hagen

يركز شومبيتر على الصفة الوثيقة بين القدرة الابتكارية وتحمل المسئولية وروح المخاطرة ، والسرعة فى اتخاذ القرارات الحاسمة كما يميز بين دور المنظم ودور المدير ، فالمنظم هو الذى يتولى تخطيط المشروعات وتطوير اساليب الانتاج ، ويقوم بفتح مجالات جديدة للعمل والانتاج والتوزيع ، اما المدير فهو الذى يتولى تنفيذ المشروعات التى يبتكرها المنظم .

ويركز ماكليلاند على دور القيم والدوافع السيكلوجية فى التنمية فيقول :ان القيم والدوافع السيكلوجية بصفة عامة هى التى تحدد معدل التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،ويقول فى موضع آخر : ان الافكار هى التى تلعب الدور الحاسم فى تشكيل التاريخ ، اما الجوانب المادية فلا تلعب مثل هذا الدور.

ويذهب ايضا الى ان الحاجة الى انجاز مطلب اساسى لتحقيق التنمية ، وقد ايد اقواله بدراسة اجراها عن بعض الدول الحديثة خلال الفترة من ١٩٢٥ــ١٩٥٠ ، وتوصل الى ان الدول التى لديها دافع قوى للانجاز تحقق التنمية بطريقة اسرع .

وقد اشار ماكليلاند ــ كما اشار فيبر من قبل ــ ان وجود

علاقة موجبة بين البروتستنتية وقيام الراسمالية • غيرانه ارجع هـــذه العلاقة الى اساليب التنشئة التى كانت تستخدمها الاسر البروتستنية والتى كانت تقوم على تقوية الدافع للانجاز والتفانى فى العمل والاعتماد على النفس •

كما خلص من ابحاثه الى وجود ارتباط قوى بين الحاجة الى الانجاز من ناحية وبين الخصائص السيكلوجية والاجتماعية للوالدين واسـلوب تربية الابناء من ناحية اخرى • فالابناء ـ الذين لديهم دافع قـــوى للانجاز ـ ينتسبون لآباء غير متسلطين •ولامهات يتمتعن بالثقة فــــى النفس • والقدرة على التحكم فى مشاعرهن بخلاف الابناء الذين ليس لديهم دافع قوى للانجاز •

وهذا الاتجاه الذى يركز على تأثير القيم فى التنمية يلقى تأييدا كبيرا من جانب كثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والنفس الاجتماعى فيشير ويلبرت مور ـ مثلا ـ الى ان التنمية تستلزم توافر مجموعة مــــن المقومات من اهمها وجود اطار قيمى يسمح للفرد بالحركة • كما يتطلب نظام توظيف قائم على الكفاية المهنية •والقدرة على الاداء • لكن هذا المطلب قد يتعارض مع عدد من القيم الخاصة بتفضيل مراكز القرابـــة والالتزامات التى تفرضها باعتبارها فضيلة خلقية • ولذا كان تغييـــر الاطار القيمى يعتبر شرطا اساسيا من شروط التنمية •

كما يشير ريتشارد لامبرت R.Lambert وبرت هوسيليتـــز B. Hoselitz ) الى تاثير القيم المرتبطة بالملكية •والاتجاه نحو الماضى والتمسك بالطقوس التقليدية فى المناسبات الاجتماعية المختلفة

في تعويق عمليات التنمية في جنوب آسيا . فيقولان :

" في كل بلاد جنوب آسيا تعتبر الارض المصدر الاساسي للثروة ولذا يوجه الافراد اموالهم نحو شراء الاراضي وقد تكون هذه الطريقة مقبولة اذا كانت الارض هي المصدر الوحيد للانتاج . غير انه في كثير من الاحيان توجد طرق بديلة لاستثمار رؤوس الاموال تحقق مزيدا من الربح . وعلى الرغم من ذلك فان الاهالي يتنافسون على شراء الاراضي وقد ترتب على ذلك ارتفاع اسعار الارض بسرعة فائقة بحيث انه في سنة ١٩٦٠ زادت اسعار الارض من ثمانية الى عشرة امثال ما كانت عليه في سنة ١٩٣٩ . كما ان اثمانها لا تتحصل الا بعد مضي فترة تتراوح بين خمس عشرة سنة الى عشرين . واذا كان هناك اتجاه آخر لادخار المال : فانه يتم عن طريق وضع النقود في صناديق خشبية كبيرة او دفنها في احد اركان المنزل . او عن طريق اقتناء الحلى والمعادن الثمينة .

وليس ثمة شك في ان مثل هذه الاساليب كفيلة بتحويل المدخرات الى مجالات غير منتجة من الناحية الاقتصادية . كما يشيران ايضا الى الانفاق الباذخ على الطقوس التقليدية في المناسبات الاجتماعية المختلفة واثر ذلك على توجيه المدخرات الى وجوه لا تعود على المجتمع بنفع حقيقي فيقولان :

" ان شعائر دورة الحياة وكذلك ارتباط اسرتين عن طريق الزواج يتم عن طريق مراسم دينية تستهلك جزءا كبيرا من ثروة الاسرة ومدخراتها وكلما ارتفع الوضع الاجتماعي للاسرة زاد انفاقها على مثل هذه الشعائر ويحدث ذلك في مناسبات كثيرة عند الزواج والموت وفي الاعياد .

ففى حالة الوفاة يذهب الكاهن الى منزل المتوفى بدلا من الانتظار فى الكنيسة ويصحب معه فرقة كاملة من المرتلين والمنشدين . وبعدها ينقل الجثمان الى الكنيسة حيث تتكرر المراسيم وعند الدفن فى الجبانة يتكرر المشهد للمرة الثالثة . ويترتب على ذلك ان تزداد مصاريف الجنازة من ١٠-١٥ مثلا .

ويشير احد التقارير الى ان المصروفات التى تنفق على هذه المراسيم فى المناطق الريفية بالهند تقدر بحوالى ٢ر٧ من اجمالى الدخل القومى كما يشير تقرير اخر الى ان الاموال التي انفقت على مراسيم الزواج . والوفاة بالمناطق الريفية بالهند كان من الممكن ان تزيد بمعدل ٥٠٪ اذا استثمرت فى مشروعات اقتصادية منتجة .

ونظرا لارتباط هذه الطقوس بالقيم والتقاليد السائدة فى الاسرة والمجتمع المحلى . واتصالها القوى بمشاعر الافراد ووجداناتهم فان تغييرها يحتاج الى جهد كبير من جانب العاملين فى الحقل الاجتماعى لاقناع الناس بعدم جدواها وضرورة التخلى عنها .

أما " هاجن Hagen فقد اكد ان تحول المجتمع من الطابع التقليدى الى الطابع الحديث يستلزم تغييرات جوهرية فى نمط الشخصية التقليدية . ويشير الى ان الشخصية النمطية التى توجد فى المجتمعات التقليدية هى شخصية تسلطية وغير خلاقة . اما المجتمعات المتقدمة فتسود فيها الشخصية الديمقراطية ذات الطابع الابتكارى .

وقد استطاع هاجن فى كتابه عن "التغير الاجتماعى والتنمية

الاقتصادية " ان يقدم نظرية متكاملة تفسر دور المجدد الاجتماعي وتحدد ابعاد شخصيته ،وتوضح مدى التفاعل القائم بينه وبين الظروف التي يظهر فيها ،معتمدا في تحليله العلمي على ميادين ثلاثة هي الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس .

وقد اعتمد هاجن في دراسته على المنهج المقارن . فتصور مجتمعين : احدهما قروى والاخر صناعي . ثم حدد الخصائص النمطية التي يفترض ان تتوافر في هذين النوعين من المجتمعات . ولم تكن تلك الخصائص الا تجريدات عقلية ،بمعنى انها لاتعبر عن مجتمعات بعينها . او واقع بذاته ،وانما هي صورة عقلية يمكن استخدامها في مجال التحليل العلمي والدراسة المقارنة ،وهي ـ على حد تعبير هيجنز اشبه ماتكون بالتجريدات التي وضعها " آدم سميث " عن الرجل الاقتصادى . وقد استخدم هاجن الى جانب المنهج المقارن الطريقة التحليلية ليقدم اطارا نظريا يساعد على تفسير عوامل التغير ومعوقاته وكيفية الانتقال من مرحلة التخلف الى مرحلة النمو .

اشار هاجن في دراسته الى ان التغير من اجل التنمية ليس شيئا مفروضا من الخارج ،وانما ينبع من داخل المجتمع ذاته ويشرح وجهة نظره بتحليل مكونات البناء الطبقي في المجتمعات التقليدية ،وموقف كل طبقة من التغيير فيقول : يتكون المجتمع التقليدى من طبقات اجتماعية ثلاثة هي : الفلاحون ومن في مستواهم الاجتماعي والصفوة . والتجار الممولون .

ويتسم المجتمع التقليدى بالجمود بحيث لا يهيئ للافراد فرص

الخلق والابتكار . فالعلاقات الشخصية تحكمها السلطة الموروثة والتقاليد التى تنتقل فى المجتمع من جيل الى جيل اخر تبعد الناس عن عوامل القلق وتهيىء لهم الامان والاستقرار والعالم الخارجى بعيد وكانه مفروض فرضا على الناس . غير ان ذلك لا يمنع من ظهور بعض الاشخاص الذين يتمتعون بالقدرة على الخلق والابتكار وهؤلاء بحكم الظروف التى نشأوا فيها يشعرون بالقلق ويرغبون فى التغيير . كما انهم بحكم تنشئتهم الاجتماعية يتوقعون النجاح باستمرار . ولذا فانهم على استعداد لخوض غمار تجارب جديدة ليحققوا ما يبتغونه من نجاح وليعززوا ثقتهم بانفسهم .

ويناقش هاجن امكانية ادخال تجديدات تكنولوجية فى المجتمع ويتساءل عن الفئات الاجتماعية التى يمكنها القيام بهذا الدور فيقول ان من الفئات الاجتماعية من لا يستطيع القيام بهذا الدور ومنها من يستطيع القيام به ولكنه يخشى التغيير . فالصناع المهرة الذين يعيشون فى المدن لا تتوفر لديهم الامكانات المادية التى تمكنهم من تصنيع المجتمع التقليدى . والصفوة الحاكمة تعارض ادخال مشروعات او صناعات جديدة . لان مثل هذا التجديد من شأنه ان يوجد تقييما جديدا للاشياء والاشخاص . وقد يترتب على ذلك احداث تغييرات فى المكانات الاجتماعية . واستبدال الاوضاع القائمة باوضاع اخرى جديدة . ومن ثم فان افراد هذه الطبقة يقاومون التغيير . ويقفون فى وجهه . حفاظا على مكانتهم . وحرصا على ابقاء الاوضاع على ما هى عليه . ولذا فليس هناك من يستطيع القيام بالتغيير ويرضى به الا اشخاص يعيشون فى المجتمع . غير انهم يشعرون بالعزلة عنه ويتوفر لديهم الخيال

الابداعى .ولديهم حاجات يرغبون فى تحقيقها اهمها : تأكيد الذات وتحصيل المكانة . ويشعرون فى الوقت ذاته بوجود ضغوط اجتماعية تحول بينهم وبين تحقيق حاجاتهم .

ويذهب هاجن الى ان التغيير قد يحدث فى المجتمع حينما يشعر اعضاء جماعة معينة ان الاهداف التى يرغبون فى تحقيقها والقيم التى يجعلونها موجهات لسلوكهم .لاتقابل بالاحترام من جانب جماعات اخرى فى المجتمع هى انفسهم يحترمونها ويقدرونها .

وكثيرا ماتظهر بوادر عدم التكيف الاجتماعى حينما تهاجر جماعة داخلية الى مجتمع اخر. ويحددها هاجن مواقف اربعة يمكن ان تؤدى الى فقدان الشخص لمكانته وهذه المواقف هى :

١ـ تغير بناء السلطة
٢ـ اهمال النظم بدون ادخال تعديلات فى بناء السلطة
٣ـ التناقض بين رموز المكانات المختلفة
٤ـ عدم تقبل المكانات المتوقعة اوالاعتراف بقيمتها بعد الانتقال الى مجتمع جديد .

ويمضى هاجن فى تحليله لظاهرة التكيف وعدم التكيف وتاثيرها على الافراد مستخدما المصطلحات التى وضعها روبرت ميرتون ـ عالم الاجتماع الامريكى المعاصر . عن انماط التكيف للمواقف المختلفة وهى : التكيف والتجديد . والتقليد بالحرفيات . والتراجع . والثورة . وفى رايه ان التراجع ( الانسحاب ) هو رد الفعل الطبيعى لفقدان

المكانة . والشخص المتراجع يشعر بالضيق والغضب من الاوضاع السائدة فيحاول التحكم فى مشاعره غير ان ذلك لا يستمر طويلا حيث تنفجر مشاعر الغضب فى شكل فورات تظهر من حين الى اخر . والافراد المتراجعون فى نظره يعملون على تنشئة ابنائهم بطريقة تساعد على نمو قدراتهم الابداعية بحيث تزداد لديهم الرغبة فى التغيير .

ويذهب ايضا الى ان الحافز للتنمية يزداد كلما تحسنت الظروف الاقتصادية وتنوعت خصائص الشخصية .

وفى رأيه ان الواقع الاجتماعى يؤدى الى تغيير فى الشخصية الذى يسهم بدوره فى تعميق التغيير الاجتماعى .

وقد حاول "هيجنز" ان يقدم تقييما علميا للاطار النظرى الذى وضعه هاجن فقال عنه :

" يعتبر النموذج النظرى الذى وضعه هاجن احدى الاضافات العلمية القيمة - ليس فقط فى مجال نظريات التنمية - بل فى مجال النظرية الاجتماعية على وجه العموم . فقد اقام تحليله العلمى آخذا فى الاعتبار مفهوم البناء . والوظيفة الذى يأخذ به علماء الاجتماع والانثروبولوجيا . ومفهوم التربية الوالدية والتنشئة الاجتماعية ونمط الشخصية الذى ياخذ به علماء النفس . ومفهوم السوق والمشروع الكبير وتراكم راس المال الذى ياخذ به علماء الاقتصاد . ثم مفهوم المبتكر اوالمجدد اوالمنظم الذى ياخذ به عدد كبير من العلماء الاجتماعيين من امثال فيبر . وتونى . وشومبيتر . وتوينبى .

## ٦ ـ الاتجـــــاه التكاملي :

وهو الذى لايقتصر على مؤشر واحد ، ولا يعتمد على تفسير جزئى لظاهرة التنمية ، وانما يستند الى نموذج تصورى عضوى يقوم على النظرة الكلية للمجتمع على اساس الترابط بين مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية

ويرى سوروكن Sorokin ان التصور المتكامل لظواهر الحياة الاجتماعية يستند الى مجموعة من العناصر ، منها مايشير الى طبيعـــة الواقع الاجتماعى ، ومنها مايرتبط بالمكونات البنائية للظواهر الاجتماعية ومنها مايعبر عن الصورة التى تترابط بها الظواهر الاجتماعية .

وهذا الاتجاه ـ فى نظرنا ـ هو اكمل الاتجاهات التى تعبـــر عن طبيعة الواقع الاجتماعى وتفسره . نظرا للترابط والتكامل الـــذى يقوم بين مختلف عناصر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ويأخذ الاتجاه التكاملى فى الاعتبار : البناء الديموجرافى ، والنسق الايكولوجى . والنسق الاقتصادى ، والبناء الطبقى ، والنسق السياسى ونسق الاسرة ، والحالة الصحية والنسق التعليمى ونسق القيم .

وقد اشار " جنرميردال " الى ان النظام الاجتماعى تؤثر فيـــه مجموعة من القوى الاقتصادية والاجتماعية فاذا حدث تغير فى اى جانب من الجوانب فان هذا التغير لايحدث رد فعل فى النظام فى شـــكل تغيرات تذهب فى جملتها الى الاتجاه العكسى نحو التغير الاول . وانما يؤدى الى احداث تغيرات مساعدة تدعم التغيرات الاولـــى وتدفع النظام فى نفس الاتجاه الذى اتخذه التغير الاول وتدفعـــه الى ابعـــد منه .

ولذلك حرص ميردال على تاكيد الصلة بين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية ٠وهاجم النظرية الاقتصادية التقليدية لانها تقوم على فروض غير واقعية فيما يتعلق بسياسة الحرية الاقتصادية وحرية التجارة والتوازن الثابت ٠ وعدم الاهتمام بالعوامل غيرالاقتصادية ٠

وقال : انه لكى يكون التحليل الاقتصادى واقعيا فان من الضرورى ان ياخذ فى اعتباره كل العوامل الهامة٠ وبعبارة اخرى ينبغى ان ينصب على فكرة العلية الدائرية التراكمية بين العوامل المختلفة فى النظام الاجتماعى ٠

ويقول ايضا : انه من الخطأ عند بناء نظرية جديدة فى التنمية قصرها على مايسمى بالعوامل الاقتصادية دون العوامل غيرالاقتصادية لان جميع العوامل مترابطة تؤثر فى بعضها البعض وتتأثر ببعضها البعض فى عملية دائرية تراكمية ٠

كما قام " فيكمانزوسيجوندو " بتحديد مجموعة من المتغيرات لاخذها فى الاعتبار عند قياس التنمية اوللتخطيط لها وهذه المتغيرات هى :

١ـ المتغير الاقتصادى : ويتضمن مجموعة مؤشرات هى متوسط دخل الفرد واستهلاك الكهرباء والاسمنت وطبع الجرائد والوحدات الحرارية التى يحصل عليها الفرد ٠ ونسبة القوة العاملة فى القطاع الزراعى ٠

٢ـ التدرج الاجتماعى : ويتضمن مجموعة مؤشرات هى توزيع السكان على المناطق الحضرية والريفية وتوزيع القوى العاملة على القطاعات الانتاجية المختلفة٠

٣ــ المتغير الحضاري: ويتضمن جملة مؤشرات هي نسبة الامية ونسبة الطلبة في المراحل التعليمية ،ونصيب الفرد من الجرائد الموزعة ونصيب الفرد من اجهزة الراديو ومقاعد السينما . كما يتضمن مؤشرات اخرى تتعلق بالمستوى الصحي وتتمثل في عدد الاطباء لكل مائة الف من السكان ونصيب الفرد من الاسرة في المستشفيات ومعدلات المواليد والوفيات .

٤ــ المتغير السكاني : ويشتمل على مؤشرين اساسيين هما درجة التجانس السكاني ،ونسبة الاجانب الى الوطنيين .

٥ــ المتغير السياسي : ويتمثل في درجة التمثيل النيابي ومدى واقعية الافكار السياسية ودرجة تكامل الجماعات الضاغطة او المؤثرة في الحياة السياسية ومدى تمثيل جمهور الناخبين في نظام الاحزاب السياسية .

ويرى "ويليرت مور" ان التنمية التي تنشدها حكومات الدول النامية والمتقدمة على السواء تتطلب اكثر من الرغبة المتفائلة في حياة افضل ،وانما تتطلب توافر مجموعة مقومات هي :

١ ــ القيم : تستلزم التنمية وجود اطار قيمي يسمح للفرد بالحركة كما يتطلب نظام توظيف قائم على الكفاية المهنية والقدرة على الاداء لكن هذا المطلب قد يتعارض مع عدد من القيم الخاصة بتفضيل مركز القرابة والالتزامات التي تفرضها باعتبارها فضيلة خلقية . وفي هذه الحالة يصبح تغيير الاطار القيمي شرطا اساسيا من شروط التنمية .

٢ـ النظـــم : : ترتبط التنمية ارتباطا وثيقا بنظام الملكيـــة والعمل والتبادل وكذلك النظام السياسى والتعليمى • ومن الضرورى ان تكون حقوق الملكية قابلة للتحويل • لان القيود الشديدة على تحويل الملكية قد تعوق او تمنع تعبئة عوامل الانتاج •وينبغـــى ان يكون العمل متحركا سواء من الناحية الجغرافية اوالناحية الاجتماعية ومن بين المهام التى يستتبعها النظام الصناعى بصفة خاصـــة ان يتم تشغيل الافراد وفقا للكفاءة دون نظر للمركز الاجتماعى السابق ويتطلب النظام الصناعى كذلك نظاما تجاريا للتبادل •ويلاحظ انــه حتى فى الدول الاشتراكية لم تكن تلك الدول قادرة على تجنب وضــع قيم نقدية على الموارد والسلع وهى تمر فى عمليات الانتاج • وقد لا تكون الاسواق حرة •كما ان السلع والاسعار قد تحدد عن طريق الجهـــاز الادارى •غير ان عملية التوزيع فى الاقتصاد الصناعى تتطلب الدخـول فى صفقات مالية •

وتتطلب التنميـــة قدرا كبيرا من الاستقرار السياسى •فالتصنيع بمعناه الضيق — والذى يقصد به انتاج المصنع يستلزم معدات راسمالية ثابته وغالية التكلفة •وقلما تتم الطلبات والمبيعات فى وقت واحد ومعظـم الصفقات المالية تتم بطريق الائتمان •ومن ثم يجب ان تكون التعاقدات قابلة للاعتماد والتنفيذ ويتطلب ذلك كله اوضاعا سياسية مستقرة وثابته

وتتطلب التنمية تغييرا فى النظام التربوى والمنظمات الخاصـة والعامة التى تعمل على النهوض بالتعليم والتكنولوجيا •ويرى ويلبرت مور ان بعض القطاعات الرائدة من السكان يجب ان تتجه الى وضع البرامج

والخطط ، والتعرف على الاساليب الفنية التى يلزم استعارتها اوتعديلها وكذلك التوصل الى اختراعات جديدة يمكن تطبيقها فى الاحوال غير العادية ، ولقد كان المنظمون يقومون بهذا العمل فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، غيرانه فى كثير من الدول النامية فى الوقت الحاضر تقوم هيئات التخطيط المركزى الحكومى بالدور الذى يقوم به المنظم وهذه هيئات ينبغى ان تدعم بعدد كبير من الفنيين من ذوى التخصصات المختلفة ،

٣ـ التنظيم : ترتبط التقدم الصناعى بالتخصص وتقسيم العمل ولذا لابد من تنظيم ادارى منظم يضع القرارات ، ومن الملاحظ انه فى النظام الحر توضع القرارات على مستوى الشركة المفردة داخل اطار سياسة الحكومة او عمليات السوق ، غير انه فى اغلب الدول النامية يتجه رؤساء الحكومات الى اتخاذ خطوات حاسمة فى خطط التنمية كذلك لابد من تنظيم مالى سليم للدولة وما يطلق عليه اصطلاح المصروفات الادارية الاجتماعية ، والتى تتمثل فى النقل والمواصلات ، كما تمثل مجموعة اخرى من الاحتياجات التنظيمية ،

٤ـ الحوافز : لاتودى مجرد الرغبة فى حياة افضل الى تحقيقها بطريقة تلقائية ، بل لابد من ادخال تغييرات فى النظم والتنظيمات الاجتماعية السائدة ،

× × × ×

# الفصـــل الخـــامس

## مشـــكلة نمـــو الســـكان فى العالم

# الفصـــل الخامس

## مشكلة نمـــو الســـكان فى العــالم

### ظاهرة ازدياد نمو السكان فى العالم :

يحدث النمو بين السكان عادة نتيجة لزيادة عدد المواليد على عدد الوفيات ( الزيادة الطبيعية ) ولقد مرت بالعالم قرون طويلة كانت الزيادة بين سكانه طفيفة ٠ الا أن عدد السكان اخذ ينمو بشكل واضح ابتداء من القرن الثامن عشر ٠ أما خلال القرنين التاسع عشر والعشرين فقد اصبحت الزيادة اكثر وضوحا كما سترى٠ فلقد قدر عدد سكان العالم فى سنة ١٦٥٠ بين ٤٦٥ ، ٤٤٥ مليون نسمة ثم ازداد هذا التقدير بعد حوالى قرن واحد الى حوالى ٧٢٠ مليونا ثم ارتفع التقدير فى سنة ١٨٥٠ الى حوالى ١١٠٠ مليون نسمة ٠ اما فى سنة ١٩٦٠ فقد قدر عدد سكان العالم بحوالى ٣٠٠٠ مليون ٠ وهو رقم يزيد عن ضعف ماكان عليه منذ قرن واحد وما يلفت النظر فى هذه الزيادة ان ثلثيها قد حدث منذ سنة ١٩٠٠ فقط٠

ويمكن ان نلمس مدى معدل الزيادة بين سكان العالم فى العصر الحديث بمقارنة هذا المعدل بماكانت عليه الزيادة فى العصور القديمة اذا علمنا ان هكسلى قد قدر عدد سكان العالم فى العصر الحجرى القديم بين مليون وثلاثة ملايين نسمة ٠ اما فى العصر الحجرى الحديث فقد قدر عدده بما يتراوح بين ١٠ و ٢٠ مليون نسمة ٠ وذلك فى الفترة بين

سنتى ٨٠٠٠ و ٥٥٠٠ قبل الميلاد ـ فاذا علمنا ان عدد السكان بالعالم قدقدر فى سنة ١٨٥٠ بحوالى ١١٠٠ مليون نسمة كان معنى هذا ان نمو النوع البشرى خلال المائة سنة الاخيرة قد زاد عن نموه خلال عمره كله على سطح الكرة الارضية ، اى ان الانسان وصل بعدده الى ١١٠٠ مليون نسمة بعد فترة طولها ٢٠٠ الف سنة ـ بينما وصل بعدده الى حوالى ٣٠٠٠ مليون نسمة بعد مائة سنة اخرى فقط

ومن الملاحظ أن هذه الزيادة لم تحدث بنسب متساوية بين مناطق العالم المختلفة ، وانما اختلفت القارات بعضها عن بعض من هذه الناحية ، كما اختلفت الاجناس ايضا فى نسب زيادتها ففى خلال المائة سنة الاخيرة ازداد سكان اوربا مثلا الى اكثر من الضعف ، بينما ازداد سكان الامريكتين الى حوالى اربعة اضعاف ماكانت عليه كما كان للجنس الابيض نصيب كبير من هذه الزيادة وذلك حين قدر عدده فى سنة ١٠٠٠ ميلادية بحوالى ٣٠ مليونا ثم ازداد الى ٢١٠ ملايين فى سنة ١٨٠٠ ثم الى ٦٤٥ مليونا فى سنة ١٩١٥ ، وهى ارقام توضح لنا مدى تضاعفه ،

ويوضح الجدول رقم ١ عدد سكان العالم حسب كل قارة كل خمسين سنة منذ سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٩٥٠

اما بالنسبة للاقطار المختلفة فنجد ان تضاعفها لم يحدث هو الاخر بنسب واحدة ، فاذا مثلنا بكل من انجلترا والولايات المتحدة الامريكية نجد ان سكان انجلترا كانوا حوالى ٢١ مليونا فى سنة ١٨٢١ ثم زادوا الى ٤٢ مليونا فى سنة ١٩٢١ ثم الى حوالى ٥٢ مليونا فى سنة ١٩٦٠

واخيرا الى حوالى ٥٧ مليونا فى سنة ١٩٧١ . اما الولايات المتحدة فقد كان عدد سكانها عند نشأتها اقل من اربعة ملايين زادوا الى ٦٣ مليونا فى سنة ١٨٩٠ ثم الى ١٧٩ مليونا فى سنة ١٩٦٠ واخيرا الى حوالى ٢٠٧ ملايين فى سنة ١٩٧١ .

وتكون مقارنتنا اكثر وضوحا بالنسبة لكل قارة اذا كانت هذه المقارنة على اساس من النسب المئوية . ويبين الجدول رقم ٢ نسبة عدد سكان كل قارة بالنسبة لمجموع سكان العالم كل خمسين سنة ابتداء من سنة ١٧٥٠ الى سنة ١٩٥٠ . ويمكن ان نلمس من هذا الجدول كيف ان النسب غير ثابتة وكيف انها تغيرت بشكل ملحوظ فى القارات .

جدول رقم ١

سكان العالم فى كل قارة *

منذ سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٩٥٠

| القارة / السنة | ١٧٥٠ | ١٨٠٠ | ١٨٥٠ | ١٩٠٠ | ١٩٥٠ |
|---|---|---|---|---|---|
| | مليون | مليون | مليون | مليون | مليون |
| أمريكا الشمالية | ١ | ٦ | ٢٦ | ٨١ | ١٦٦ |
| أمريكا الجنوبية والوسطى | ١١ | ١٩ | ٣٣ | ٦٣ | ١٦٢ |
| أوربا | ١٤٠ | ١٨٧ | ٢٦٦ | ٤٠١ | ٥٤١ |
| آسيا | ٤٧٩ | ٦٠٢ | ٧٤٩ | ٩٣٧ | ١٣٢٠ |
| أفريقيا | ٩٥ | ٩٠ | ٩٥ | ١٢٠ | ١٩٨ |
| أستراليا والجزر المحيطة بها | ٢ | ٢ | ٢ | ٦ | ١٣ |
| المجموع | ٧٢٨ | ٩٠٦ | ١١٧١ | ١٦٠٨ | ٢٤٠٠ |

* المصدر :

Paul Landis and Paul Hatt, Population Problems (N.Y. 1954), p. 20.

# جدول رقم ٢

## نسبة عدد سكان كل قارة *

### منذ سنة ١٧٥٠ إلى سنة ١٩٥٠

| السنة / القارة | ١٧٥٠ | ١٨٠٠ | ١٨٥٠ | ١٩٠٠ | ١٩٥٠ |
|---|---|---|---|---|---|
| | % | % | % | % | % |
| أمريكا الشمالية | ٠,٢ | ٠,٧ | ٢,٣ | ٥,١ | ٦,٩ |
| أمريكا الجنوبية والوسطى | ١,٥ | ٢,١ | ٢,٨ | ٣,٩ | ٦,٨ |
| أوروبا | ١٩,٢ | ٢٠,٧ | ٢٢,٧ | ٢٤,٩ | ٢٢,٥ |
| آسيا | ٦٥,٧ | ٦٦,٤ | ٦٣,٩ | ٥٨,٣ | ٥٥,٠ |
| أفريقيا | ١٣,١ | ٩,٩ | ٨,١ | ٧,٤ | ٨,٣ |
| أستراليا والجزر المحيطة بها | ٠,٣ | ٠,٢ | ٠,٢ | ٠,٤ | ٠,٥ |
| المجموع | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ | ١٠٠ |

* المصدر السابق نفسه.

اما عن توزيع سكان العالم في سنتي ١٩٦٠، ١٩٧٠ وما طرأ عليه من تغيير خلال هذه السنوات العشرين فيمكننا ان نلمس ذلك من الجدول رقم ٣ الذي يوضح هذا التوزيع بالارقام المطلقة وبالنسب المئوية .. والجدول وان كان يختلف في ترتيب بياناته عن الجدولين السابقين الا انه يكفي لتوضيح احدث اتجاه لهذا التوزيع .

ولقد اختلف علماء السكان حول مستقبل النمو بين السكان على سطح الارض في المستقبل القريب فمنهم من تطرف في تقديره ومنهم من كان معتدلا في هذا التقدير . وكان اختلافهم حول هذه الناحية واضحا عند تقديرهم لما سيكون عليه سكان العالم في سنة ٢٠٠٠ وحيث وجدنا تقديرهم يتراوح بين ٥٠٠٠، ٧٠٠٠ مليون نسمة اما عن تقدير الامم المتحدة لهذا العدد فنجده واضحا في الجدول رقم ٤ ـ وقد حسب هذا التقدير على اساس نسبة النمو الحالية بالنسبة لسكان كل قارة ولهذه الناحية اثرها في اختلاف نسب توزيع السكان في العالم نتيجة لتوقع ازدياد النمو في مناطق بصورة اوضح منها في مناطق اخرى . وهذه الناحية توضحها النسب المئوية الموجودة في نفس الجدول .

## جدول رقم ٣

### تقدير عدد سكان العالم بالنسبة لكل قارة في سنتى ١٩٦٠ ، ١٩٧٠ * والنسبة المئوية إلى المجموع

| القارة | ١٩٦٠ العدد | ١٩٦٠ النسبة المئوية | ١٩٧٠ العدد | ١٩٧٠ النسبة المئوية |
|---|---|---|---|---|
| | مليون نسمة | ٪ | مليون نسمة | ٪ |
| أمريكا الشمالية | ١٩٩ | ٦,٧ | ٢٢٨ | ٦,٢ |
| أمريكا اللاتينية والوسطى | ٢١٢ | ٧,١ | ٢٨٣ | ٧,٨ |
| أوربا (دون الاتحاد السوفييتى) | ٤٢٥ | ١٤,٢ | ٤٦١ | ١٢,٧ |
| آسيا (دون الاتحاد السوفييتى) | ١٦٥١ | ٥٥,٢ | ٢٠٥٥ | ٥٦,٦ |
| الاتحاد السوفييتى | ٢١٤ | ٧,٢ | ٢٤٣ | ٦,٧ |
| أفريقيا | ٢٧٣ | ٩.١ | ٣٤٣ | ٩.٤ |
| أستراليا والجزر المحيطة بها | ١٦ | ٠.٥ | ١٩ | ٠.٥ |
| المجموع | ٢٩٩٠ | ١٠٠ | ٣٦٣٢ | ١٠٠ |

* المصدر :

بيانات عام ١٩٦٠ عن

UN.. World Population Conference, 1962 (N. Y. 1967) Vol. 2, p. 21.

بيانات عام ١٩٧٠ عن

UN.. Demographic Year Book, 1972 (N. Y. 1973) p. 119.

## جدول رقم ٤

### تقدير عدد سكان كل قارة فى سنة ٢٠٠٠ ونسبته المئوية إلى مجموع سكان العالم *

| القارة | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| | مليون نسمة | فى المائة |
| أمريكا الشمالية | ٣٥٤ | ٦،٠ |
| أمريكا الجنوبية الوسطى | ٦٢٤ | ١٠،٥ |
| أوربا ( دون الاتحاد السوفيتى ) | ٥٢٧ | ٨،٨ |
| آسيا ( « « « ) | ٣٣٠٧ | ٥٥،٣ |
| الاتحاد السوفيتى | ٣٥٣ | ٥،٩ |
| أفريقيا | ٧٦٨ | ١٢،٩ |
| أستراليا والجزر المحيطة بها | ٣٢ | ٠،٦ |
| المجموع | ٥٩٦٥ | ١٠٠ |

* المصدر :

المرجع السابق صفحة ٢١ UN, World Population Confirence.

## اتجاه نمو السكان فى العالم

حدثت هذه الزيادة بين السكان فى اغلب بلاد العالم كما اوضحنا ولكن من الملاحظ فى الوقت الحاضر ان عدد السكان قد اخذ يتجه الى الثبات نسبيا او الى الزيادة القليلة فى معظم البلاد الاوربية وامريكا الشمالية وهى نفس البلاد التى تميزت بالتقدم الصناعى .... بينما نجد ان عدد السكان فى اغلب البلاد الاخرى قد اخذ فى الازدياد بشكل واضح . ويمكن ان نمثل لهذه البلاد بالهند . حيث نجد ان عدد سكانها قد زاد من ٣١٩ مليونا فى سنة ١٩٤١ الى ٣٦٢ مليونا فى سنة ١٩٥١ ثم الى ٤٣٦ مليونا فى سنة ١٩٦١ ... واخيرا الى ٥٤٨ مليونا فى سنة ١٩٧١ وسوف يصل هذا العدد الى ضعفه خلال قرن واحد اذا ظل معدل الزيادة على ما هو عليه .

وهكذا الحال بالنسبة للصين اجمالا ( شعبية ووطنية ) فقد كان تعدادها حوالى ٦٠٢ مليون نسمة فى سنة ١٩٥٣ ثم زاد خلال خمس سنوات ٦٧ مليونا اخرى حين بلغ عدد سكانها فى سنة ١٩٥٨ . حوالى ٦٦٩ مليونا واخيرا ارتفع الى حوالى ٨٠١ مليونا فى سنة ١٩٧٢ . وستتضاعف عدد سكانها هى الاخرى خلال قرن واحد اذا ظل معدل الزيادة فيها على ما هو عليه فى الوقت الحاضر

اما اليابان فكان عدد سكانها حوالى ٨٨ مليونا فى سنة ١٩٥٤ وكان اقل من نصف هذا العدد فى سنة ١٩٠٠ وهى على هذا الاساس تضيف الى سكانها حوالى مليون نسمة فى كل عام . ولا تزال تحتفظ

بهذا المعدل اذا علمنا ان عدد سكانها فى سنة ١٩٦٠ قد ارتفع الى اكثر من ٩٣ مليونا ٠ ثم ارتفع الى حوالى ١٠٦ ملايين فى سنة ١٩٧٢

ونلمس نفس الزيادة بالنسبة للاتحاد السوفييتى فقد كان عدد سكانه حسب تعداد ١٩٣٩ حوالى ١٧١ مليونا ثم زاد فى تعداد سنة ١٩٥٩ الى حوالى ٢٠٩ ملايين ٠ واخيرا الى حوالى ٢٤٧ فى سنة ١٩٧٢ ٠ ولوظل معدل الزيادة فيه كما هو فى الوقت الحاضر لاصبح تعداده فى المستقبل القريب اكثر من تعداد اوربا كلها مجتمعة ٠

اما عن مصر فقد زاد عدد سكانها من ١٠ ملايين تقريبا فى سنة ١٨٩٧ الى اكثر من ١٩ مليونا فى سنة ١٩٤٧ ثم الى اكثر من ٢٦ مليونا فى سنة ١٩٦٠ ثم يرتفع مرة اخرى الى اكثر من ٣٠ مليونا فى سنة ١٩٦٦ ثم اخير يرتفع الى اكثر من ٣٤ مليونا فى سنة ١٩٧١

واذا انتقلنا الى معدل الزيادة بين سكان العالم اجمالا وجدناه هو الآخر فى زيادة مستمرة ٠ ففى سنة ١٧٥٠ قدر هذا المعدل بحوالى ٢ر٠ ٪ فى العام ، ثم ارتفع الى ٥١ر٠ ٪ بعد قرن واحد ثم الى حوالى ١ ٪ فى سنة ١٩٥٠ واخيرا وجدناه يرتفع بنسبة ٥٦ ٪ ٠ خلال عشرين سنة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠ بمعدل ٨ر٢ ٪ فى العام الواحد خلال هذه الفترة ٠

## اختلاف معدلات الزيادة بين سكان العالم

اذا درسنا نسب الزيادة بين السكان فى الاقطار والمناطق المختلفة من العالم وجدنا بينها فروقا واضحة. اهمها تلك التى نلمسها بين المناطق التى اخذت بنصيب كبير من الانتاج الصناعى. والمناطق التى لم تصل بعد الى مثل هذا المستوى الصناعى . فنجد مثلا ان عدد السكان فى معظم بلاد شمال غرب اوربا يتجه او يقترب من الثبات نسبيا . وذلك بعد ان اصبح انخفاض نسبة الزيادة بين سكانها ملازما لتقدمها الصناعى الذى بدأ حوالى منتصف القرن الثامن عشر. ووضعها بذلك يختلف او هو عكس الوضع فى البلاد المتخلفة صناعيا . حيث يتمثل فيها وبشكل واضح ارتفاع نسبة الزيادة بين سكانها .

وهذا الاتجاه نجده واضحا فى الجداول الثلاثة التالية .... فالجدول رقم ٥ يعرض مقدار الزيادة فى الالف سنويا لعدد من الاقطار المختلفة فى سنة ١٩٣٨ ومنه نلمس مدى انخفاض الزيادة فى دول شمال غرب اوربا بالنسبة لكثير من البلاد الاخرى. كما نجد استمرار الظاهرة بعد سبعة عشر عاما اخرى . اى فى سنة ١٩٥٥ فى الجدول رقم ٦ - اما الجدول رقم ٧ فيوضح نفس الاتجاه ولكن بطريقة اخرى حيث يعرض هنا مجموع الزيادة فى المائة لنفس البلاد خلال فترة عشرين عاما تبدأ من سنة ١٩٤١ حتى سنة ١٩٦١. ثم خلال العشر سنوات اللاحقة من عام ١٩٦١ الى عام ١٩٧١ . ومن الارقام نلمس مدى تفاوت الزيادة فى المائة بين بعض الاقطار والبعض الآخر ...

## جدول رقم ٥

### زيادة السكان فى الألف سنوياً لعدد من الأقطار فى سنة ١٩٣٨ *

| القطر | الزيادة فى الألف سنوياً |
| --- | --- |
| فرنسا | ٠٫٨ |
| إنجلترا | ٣٫٣ |
| السويد | ٣٫٤ |
| ألمانيا | ٨٫٠ |
| يوغسلافيا | ١١٫٩ |
| الولايات المتحدة | ٨٫٢ |
| الأرجنتين | ٩٢٫١ |
| الهند | ١٢٫١ |
| اليابان | ١٣٫٦ |
| مصر | ١٦٫٣ |

* المصدر :

Statistical Year book of the League of Nations (Geneve, 1939), pp. 42 – 44 .

جدول رقم ٦

زيادة السكان فى الألف سنوياً لعدد من الأقطار

فى سنة ١٩٥٥ *

| القطر | الزيادة فى الألف سنوياً |
|---|---|
| فرنسا | ٦,٣ |
| إنجلترا | ٣,١ |
| السويد | ٥,٣ |
| ألمانيا | ٤,٩ |
| يوغسلافيا | ١٥,١ |
| الولايات المتحدة | ١٥,٢ |
| الأرجنتين | ١٨,٤ |
| الهند | ١١,٢ |
| اليابان | ٧,٢ |
| مصر | ٢٥,٦ |

* حسبت هذه النسب على أساس البيانات الواردة فى صفحتى ٦١٠ و ٦٣٤ من:

U. N. Demographhic Year book (N.Y., 1956).

## جدول رقم ٧

### زيادة السكان فى المائة لعدد من البلاد

### خلال الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٦١ والفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٧١

| البلد | الزيادة فى المائة | |
|---|---|---|
| | خلال الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٦١ | خلال الفترة من ١٩٦١ إلى ١٩٧١ |
| فرنسا | ١٨,٤ | ٩,٨ |
| إنجلترا | ٩,٨ | ٥,٧ |
| السويد | ١٧,٧ | ٨,٠ |
| ألمانيا | ٣,٩ | ٦,٨ |
| يوغسلافيا | ١٨,٢ | ١١,٤ |
| الولايات المتحدة | ٣٧,٢ | ١٢,٥ |
| الأرجنتين | ٣٨,٨ | ١٨,٠ |
| الهند | ٣٨,١ | ٢٥,٥ |
| اليابان | ٣١,٤ | ١١,٧ |
| مصر | ٥٠,٨ | ٢٨,٣ |

المصدر :

حسبت نسب الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٦١ على أساس البيانات الواردة فى الصفحات من ١٢٦ إلى ١٣٢ فى :

U N., Demographic Year book (N Y 1962)

وحسبت نسب الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٧١ على أساس البيانات الواردة فى الصفحات من ٢٤٠ إلى ١٤٤ فى نفس المرجع ولكن طبعة سنة ١٩٧٢.

## عوامل الاختلاف في معدلات الزيادة

يرجع هذا الاختلاف في معدلات الزيادة بين البلاد المتقدمة صناعيا والبلاد التي لم تأخذ بعد بنصيب كاف من الصناعة الى ان التقدم الصناعي الذي بدأ بطريقة فعالة في بلاد شمال غرب اوربا في القرن التاسع عشر كان يصاحبه في الوقت نفسه تقدم في النواحي المتعلقة بالطب العلاجي والوقائي وبالتالي حد من نسبة الوفيات. كما قد صاحب هذا التقدم الصناعي ايضا تقدم اقتصادي مع ما يرتبط به من تغيير اساسي في العادات والنظم الاجتماعية وتقدم في التعليم وارتفاع في مستوى دخل الفرد وغير ذلك من الوان التغيير الثقافي والاجتماعي. بينما كان الامر غير ذلك في البلاد المتخلفة صناعيا لانها كانت تستفيد ولا تزال تستفيد من التقدم الذي حدث في النواحي الطبية والعلاجية وما يصاحبه من حد من نسبة الوفيات ولكن دون ان يصاحب هذا التقدم الطبي التغير الثقافي والاجتماعي الذي لازم التقدم الصناعي في البلاد الاوربية وكانت النتيجة الطبيعية لذلك في البلاد المتخلفة صناعيا ان اخذت نسبة الوفيات في الانخفاض بينما ظلت نسبة المواليد على ارتفاعها. الامر الذي ادى في النهاية الى ارتفاع الزيادة الطبيعية التي جاءت نتيجة مباشرة للتحكم في الامراض وليس نتيجة للتقدم الاقتصادي. ولما كان التحكم في الامراض لا يعني تغيرا اساسيا في النظم الاجتماعية والتعليم والدخل فقد ظلت الخصوبة على ارتفاعها في البلاد المتخلفة صناعيا. ولقد ثبت بالبحث دائما ان التقدم الحضاري يعني قلة في المواليد بينما يعني التقدم الطبي قلة الوفيات.

ونتيجة لما سبق نجد ان البلاد الصناعية قد لجأت الى خفض نسبة المواليد قبل ان تقل نسبة الوفيات. اما البلاد المتخلفة صناعيا فقد لجأت ولاتزال تلجأ الى خفض نسبة الوفيات دون ان يصاحب ذلك اتجاه الى خفض نسبة المواليد. الامر الذى يترتب عليه ارتفاع الزيادة الطبيعية بين سكانها وهكذا ستظل مشكلة التضخم السكانى قائمة فيها حتى يحدث التعادل المطلوب.

وكان لهذه الظاهرة فى البلاد المتخلفة صناعيا اثرها الواضح على مستوى المعيشة بالذات حيث نجده يميل الى الانخفاض كلما ارتفع عدد سكانها . وقد لمس كثير من المفكرين الاجتماعيين اثر هذه الزيادة بين السكان منذ الايام الاولى للثروة الصناعية مما كان سببا فى ظهور كثير من الآراء والنظريات المختلفة التى كانت تدور حول هذا الموضوع والتى سنستعرض طرفا منها فى هذا الكتاب.

ويمكن ان نلمس اثر الزيادة السكانية على مستوى المعيشة اذا قارنا بين هذا المستوى على اساس المناطق الرئيسية فى العالم حيث يوضح الجدول رقم ٨ توزيع السكان والدخل فى سنة ١٩٤٩ . ومنه يتضح كيف ان البلاد التى تقدمت صناعيا يتمتع افرادها بدخل نسبى يفوق كثيرا مايحصل عليه الافراد فى المناطق الاخرى ...

والجدول كما هو واضح يقسم العالم الى سبع مناطق رئيسية تضم الاولى الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزلندا .. وتضم الثانية بلاد وسط وشمال وغرب اوربا . والمنطقة الثالثة هى الاتحاد السوفييتى كما تضم المنطقة الرابعة بلاد جنوب وشرق اوربا . اما المنطقة الخامسة فتضم بلاد امريكا اللاتينية . وتضم المنطقة السادسة كل بلاد آسيا

واخيرا نجد المنطقة السابعة وقد ضمت كلابلاد افريقيـــــــا

اما الجدول رقم ٩ فيوضح نفس الظاهرة بطريقة اخرى تقـوم على اساس المقارنة بين عدد المناطق التى تتحـــــد فى عـــدد سكانها تقريبا ولكنها تختلف فى الوقت نفسه اختلافا بينــــــــا فى نسبة دخلها فى المائة الى مجموع دخل العالم ..

## جدول رقم ٨

### توزيع السكان والدخل فى العالم
### فى سنة ١٩٤٩ *

| المنطقة | ٪ من سكان العالم | ٪ من دخول العالم | الدخل الفردى النسبى (العالم = ١٠٠) |
|---|---|---|---|
| الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا | ٧,٥ | ٤٤,٤ | ٥٩٠ |
| غرب ووسط وشمال أوربا | ١٠,٠ | ٢١,٥ | ٢١٤ |
| الاتحاد السوفييتى | ٨,٤ | ١١,٢ | ١٣٣ |
| جنوب وشرق أوربا | ٦,٤ | ٦,٠ | ٩٤ |
| أمريكا اللاتينية | ٦,٦ | ٤,٤ | ٦٦ |
| آسيا | ٥٢,٤ | ١٠,٥ | ٢٠ |
| أفريقيا | ٨,٦ | ٢,٠ | ٢٤ |

* المصدر : كتاب « السكان فى الدراسات الدولية » .
إشراف فليب هوسر ، ترجمة خليل حسين خليل (القاهرة ١٩٦٣)
صفحة ٥٥ .

## جدول رقم ٩

### اختلاف نسبة الدخل فى المائة إلى مجموع دخول العالم فى عدد من المناطق المختارة *

| المنطقة | عدد السكان | النسبة إلى مجموع سكان العالم | النسبة إلى مجموع دخول العالم |
|---|---|---|---|
| | مليون | ٪ | ٪ |
| أفريقيا | ١٩٠.٦ | ٧,٧ | ١.٥ |
| أوربا الغربية | ١٩٣,١ | ٧.٨ | ١٦.١ |
| الإتحاد السوفيتى | ١٩٢.١ | ٧.٨ | ١٢.٦ |
| أوربا الشرقية والجنوبية | ١٩٦,١ | ٧,١ | ٧.٩ |
| أمريكا الشمالية | ١٦٩,٤ | ٦.١ | ٤١.٤ |

* المصدر :

سعيد النجار : مقدمة المصدر السابق ، صفحة ٦ .

## أسباب تزايد السكان في العالم

أوضحنا في بعض الاسباب التي دعت الى اختلاف معدلات الزيادة بين المناطق المختلفة في العالم وخاصة بين تلك التي تتميز عامة بالتقدم الصناعي والاخرى التي تعتبر متخلفة صناعيا • حتى ولو كان هذا التخلف نسبيا على الاقل اذا قورنت بغيرها من البلاد • وهذا لا يعني ان البلاد المتقدمة صناعيا لم تتميز بزيادة سكانها • فالواقع ان بلاد العالم اجمالا قد تميزت بهذه الظاهرة في العصور الحديثة كما سبق ان اشرنا الى ذلك وكانت هذه الزيادة الكبيرة نتيجة مباشرة لانخفاض نسبة الوفيات وليست نتيجة لارتفاع نسبة المواليد • ويمكن ان نرجع هذه الزيادة بين سكان العالم عامة الى عدد من العوامل نجمل اهمها فيما يلي :

١ـ التقدم المستمر في العلوم الطبية والعلاجية واثر ذلك في الحد من آثار الامراض المعدية والوبائية بل المعوية ايضا • هذا بالاضافة الى تحسين الظروف المحيطة بالحمل والولادة ورعاية الطفل والصحة عامة • وكانت النتيجة المباشرة لكل هذا هو خفض نسبة الوفيات في العالم اجمع • كما ادى بطريقة غير مباشرة الى ارتفاع نسبة المواليد في الوقت نفسه • خاصة وان آثار هذا التقدم المستمر في العلوم الطبية والعلاجية لا تعرف الحواجز الاقليمية وانما نجدها في العادة تنتشر بسرعة في كل انحاء العالم المتقدم منها والمتخلف ايضا •

٢ـ الزيادة الكبيرة فى انتاج المواد المصنوعة وسهولة نقلها وتوزيعها وذلك نتيجة للثورة الصناعية والتجارية التى يلمسها العالم فى كثير من اجزائه ٠هذا بالاضافة الى ان هذا التغير الحضارى الاقتصادى قد مهد سبل العمل لاعداد كبيرة من الناس نتيجة لاستمرار ظهور مجالات اقتصادية جديدة ٠

٣ـ استمرار عملية استغلال الاراضى الجديدة فى كثير من أجزاء العالم وخاصة تلك المناطق الواسعة فى الامريكتين وفى بعض القارات الاخرى ٠ وقد ساعدت هذه الاماكن بالضرورة على زيادة انتاج المواد الغذائية والمواد الخام ٠ وقد ساعد هذا بدوره على ان تظل التنمية الصناعية قائمة ٠ هذا بالاضافة الى ان هذه الاماكن الجديدة تتحول فى العادة الى اسواق استهلاكية اما على المستوى المحلى او على المستوى العالمى ٠وهذا من شأنه ان يعمل على الانتعاش الاقتصادى عامة ٠

٤ـ أثر التقدم العلمى فى عدد كبير من المجالات المختلفة وهذه الناحية نجدها واضحة فى الانتاج الزراعى والحيوانى وانتاج المخصبات ٠كما عمل التقدم العلمى ايضا على التوسع فى بناء المساكن وزيادة استغلال الارض استغلالا رأسيا بالارتفاع بهذه المساكن قدر الطاقة لكى تستوعب اكبر عدد ممكن من السكان ٠

٥ـ التوسع فى الاستخدامات الالية وخاصة ماتعلق منها بالالات الزراعية ساعد على مضاعفة انتاج المواد الغذائية وغيرها من المواد التى تدخل فى صناعة الملابس وهذه الالية من شانها ان تعمل على خفض قيمة الحاجات الاساسية للانسان ٠

# الفصل السادس

## المشكلات البيئية في مصر

## ( تطبيقات لتنمية المجتمع المصري )

# الفصـــل الســـادس

## المشـــكلات البيئيـــة فى مصـــر

تعانى البيئة الطبيعية فى مصر من مشكلات عديدة ، ملفتة للنظر وهذه المشكلات لها تأثير كبير على طاقة احتمال عطاء الموارد الطبيعية للبيئة المصرية ، بل وعلى التنمية وضرورتها بمصـــر ، وتتصف بعض هذه المشكلات بالحدة ، مثل ( المشكلة السكانية ) التى تعتبـــر المشكلة البيئية الرئيسية فى مصر ، والتى لها انعكاس مباشر على معظم المشكلات البيئية الاخرى فيها ، والتى سنتعرض لها فى هذا الفصل ومشكلات بيئية اخرى لم يستفحل امرها بعد ، مثل مشكلة التـــلوث بجميع انواعه ، وأهم المشكلات البيئية فى مصر والتى لها ارتبـــاط بمناهج المواد الاجتماعية هـــى :

### أولا : المشكلة السكانية ( الانفجار السكانى ) :

مما لا شك فيه أن المشكلة السكانية فى مصر تعتبر من أكبـــر المشكلات البيئية بها ، وتقف هذه المشكلة بل وتتحدى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها ، وقد نشأت المشكلة فى مصر كنتيجـــة طبيعية للتزايد السكانى الكبير والذى تفوق معدلاته معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بها ، وهو الامر الذى مازال يهدد خطـــط التنمية هذه ـ بل ويتحداها فى نفس الوقت ، ويهدد كل أمل للتطـــور أو التقدم المنشود ، بل ويزيد من الضغط على امكانيات الموارد الطبيعية بل ومن عطاء البيئة المصرية .

وتظهر ابعاد المشكلة السكانية فى البيئة المصرية فى الاختلال وعدم التوازن بين نمو السكان والموارد الاقتصادية . ويرجع هذا الاختلال فى المقام الاول الى الانفجار السكانى الذى بدأت تشهده مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . ذلك الانفجار السكانى الذى تبدو صورته فى مشاريع التنمية الاقتصادية العديدة لمواجهة زيادة السكان . وتظهر انعكاساته فى انخفاض مستوى المعيشة والضغط على الموارد الطبيعية للبيئة المصرية بصورة لم يسبق لها مثيل وبشكل قد يؤدى ان آجلا أو عاجلا الى كف البيئة المصرية عن العطاء

كما تتمثل المشكلة السكانية فى مصر فى تضخم كثافة السكان بمدينة القاهرة نتيجة الهجرة الداخلية الوافدة والمتزايدة اليها . مما جعلها عاجزة فى الوقت الحاضر عن استيعاب هذا التيار المستمر من المهاجرين الامر الذى ادى الى عجز وفاء مرافقها المختلفة من وسائل نقل ومواصلات ومياه ومجارى وكهرباء ومستشفيات ومدارس من سد احتياجات سكانها .

وللمشكلة السكانية فى مصر ابعاد متعددة تتعلق بالنمو السكانى السريع والتوزيع السكانى والخصائص السكانية . وهذه الابعاد الثلاثة ترتبط ببعضها تمام الارتباط . ويمكن توضيحها على النحو التالى :

١ ـ النمو السكانى فى مصر :

لعله من المفيد . ان نوضح ان نمو السكان فى مصر قد أخذ فى التزايد بعد الحرب العالمية الثانية . وعليه ظهرت بوادر مشكلة السكان بها . ويرجع ذلك الى الانخفاض السريع فى معدل الوفيات

فى تلك الفترة ـ والتى كانت انعكاسا للتقدم الطبى فى مصـــــر . وتحسن الظروف الصحية فيها . دون ان يصاحب ذلك انخفاض فـــى معدل المواليد التى ظلت على مستواها حتى منتصف الستينات من هذا القرن وعلى سبيل المثال :

فقد انخفض معدل الوفيات انخفاضا جوهريا من ٢٧٫٥ فى الالف عام ١٩٤٦ الى ١٠٫٦ فى الالف عام ١٩٧٨ ـ فى حين ان معدل المواليد لم ينخفض بنفس النسبة ـ فقد انخفض معدل المواليد انخفاضا بسيطـا من ٣٩٫٢ فى الالف عام ١٩٤٦ ـ الى ٣٨٫٧ فى الالف عام ١٩٧٨ . ثـم ارتفـع معدل المواليد الى ٤١ فى الالف عام ١٩٨٠ وتصبح النتيجـــة الطبيعية لذلك هى ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية سنة بعد سـنة وقد اعلن الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ان عدد سكان مصر قـد بلغ فى اول ابريل عـام ١٩٨٠ حوالى ٤٢ مليون نسمة . بل اعلن نفس المصدر هذا العام ان عدد سكان مصر قد بلغ حوالى ٤٥ مليون نسمة وهكذا نرى ان الزيادة السنوية للسكان فى مصر فى تزايد مستمر وسريع وهذا النمو المتزايد قد حدا بالمهتمين بالمشكلة السكانية الى القـول بان عدد سكان مصر سوف يصل عام ٢٠٠٠ الى حوالى ٦٨ مليون نسمة

## ٢ـ التوزيع السكانى فى مصـــــر :

يرتبط التوزيع السكانى فى مصر بالمشكلة السكانية ارتباطا كبيرا بل يحتل فى نفس الوقت جانبا من جوانب هذه المشكلة . حيث يتركز حوالى ٩٩٪ من سكان مصر على مساحة قدرها ٤٪ من المساحـــة الكلية لمصر وعلى شريط ضيق حول وادى النيل والدلتا المصرية .

وعلى هذا الاساس يتبقى من مساحة مصر ٩٦٪ تتمثل فى الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وشبه جزيرة سيناء • تكاد تكون خالية من السكان • حيث يعيش فى جملة هذه المساحة الصحراوية حوالى ١٪ من جملة سكان مصر • يعيشون حول العيون والابار فى الواحات او فى مناطق التعدين المبعثرة فى الصحراء الشرقية والغربية

والتوزيع فى مصر بهذه الصورة يعتبر توزيعا غير متعادل ويظهر ذلك بوضوح فى زيادة نسبة سكان المدن المصرية فى الوقت الحاضر وانخفاض نسبة سكان الريف حيث انه من المتوقع ان يصل عدد المدن المصرية عام ٢٠٠٠ الى حوالى ٥٢٪ من جملة سكان مصر • كما ان مدينة القاهرة وحدها يعيش فيها الان حوالى ١٠ مليون نسمة • وهذا الامر ادى الى ظهور مشكلات عديدة تعانى منها مرافق وخدمات مدينة القاهرة •

وتعتبر الكثافة السكانية فى مصر على هذا النحو من اعلى الكثافات السكانية فى العالم حيث تبلغ الكثافة السكانية فيها حوالى ٠٠٠ نسمة /كم ٢ • وذلك فى المناطق التى يعيش فيها السكان حول الوادى والدلتا بل ويرتفع معدل هذه الكثافة فى بعض اقسام مدينة القاهرة ليصل الى حوالى ١٣٥ الف نسمة /كم ٢ فى قسم باب الشعرية • ويصل هذا المعدل الى ١٣٣ الف نسمة /كم ٢ فى قسم الجمرك بمدينة الاسكندرية •

واذا نظرنا الى كثافة السكان فى الريف المصرى نجد انها تصل الى حوالى ٧٤٥ نسمة /كم ٢ وتلعب الهجرة الداخلية من الريف الى المدن دورا كبيرا فى اعادة توزيع السكان فى مصر فقد وجد ان مايقرب من ٢٣٪

من سكان مصر قد عدوا من محافظات غير محافظاتهم التي ولدوا فيها وان محافظات القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والاسماعيلية والسويس والجيزة والقليوبية تعتبر مناطق جذب لسكان الريف . اما بقية المحافظات فتعتبر محافظات طرد للسكان . وهذا يؤدى الى وجود مشاكل في التوزيع السكاني بابعادها المتعددة .

## ٢ـ الخصائص السكانية في مصر :

تعتبر الخصائص السكانية بعدا ثالثا للمشكلة السكانية في مصر . حيث يلاحظ انخفاض مستوى التعليم بين السكان وقد بلغت نسبة الامية بحسب تعداد سنة ١٩٧٦ حوالى ٥٦,٦٪ من جملة السكان . وتزيد هذه النسبة بين الاناث لتصل الى ٧١٪ من جملة الاميين . وبين الذكور حوالى ٤٣,٢٪ .

كما يلاحظ انخفاض المستوى الصحي . بحيث لم يتعد توقع الحياة وهو ما يعبر عنه بالحالة الصحية العامة للسكان عن ٥٣ سنة عام ١٩٧٨ متوسط العمر .

ومن الخصائص السكانية ايضا في مصر انخفاض مستمر لنصيب الفرد من اى من الموارد الطبيعية المتاحة منها والمتمثلة اساسا في الارض الزراعية ومن الدخل القومى الذى يقدر طبقا لاحصاءات مكتب الامم المتحدة للانشطة السكانية لعام ١٩٧٩ بنحو ٣١٠ دولار في السنة . مقابل ٨٦٦٠ دولار للفرد في السنة من سكان الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال . هذا الى جانب ارتفاع نسبة

الاعالة التي بلغت في مصر معدل وفيات الرضع ـ كما يتسم الشعب المصري بطابع المجتمع المتماسك بالتقاليد والعادات التي تقاوم الى حد ما التغير والتجديد السريع٠

وهذه الخصائص وغيرها تمثل جانبا هاما في المشكلة السكانية الى جانب التوزيع السكاني والتزايد السكاني السريع٠ وللمشكلة السكانية هذه آثارها الحادة والخطيرة على النواحي الاقتصادية والاجتماعية في مصر ويمكن توضيح هذه الاثار على النحو التالي :

١ ـ الآثار الاقتصادية للمشكلة السكانية :

لعله يتضح مما تقدم ان المشكلة السكانية مشكلة خطيرة تتحدى خطط التنمية الاقتصادية في مصر منذ اكثر من عشرين عاما بل وتزداد خطورتها في الوقت الحاضر ٠وعلى الرغم من مشاريع التنمية العديدة في مصر لمواجهة هذه المشكلة الا ان هذه المشاريع لم تصل الى مرحلة التعادل مع الزيادة السكانية المستمرة والسريعة٠

فلو تتبعنا مساحة الاراضي الزراعية والمساحة المحصولية منذ اواخر القرن الماضي ٠ لظهر لنا ان المساحة المزروعة لم تزد خلال ستين عاما الا بنسبة ١٤ ٪ فقط ٠ وان المساحة المحصولية لم تزد الا بنسبة ٥٢ ٪ ـ بينما كان معدل زيادة السكان خلال تلك الفترة نفسها بنسبة ١٦٨ ٪ ـ وهذا يوضح بعدا كبيرا لمشكلة الانفجار السكاني في البيئة المصرية وما ينتج عنها من مشكلات اخرى اخرى متعددة ٠

ونتيجة لعدم التوازن بين زيادة المساحة المزروعة والمساحة المحصولية من جهة والنمو السكانى من جهة اخرى . انخفض نصيب المواطن المصرى من المساحة المزروعة فى الفترة نفسها من اكثر من نصف فدان الى اقل من ربع فدان . كما انخفض نصيب الفرد من المساحة المحصولية من ٧ر٠٠ من الفدان الى حوالى ٤ر٠٠ من الفدان . ومعنى هذا ان الفدان الواحد من الاراضى الزراعية كان يساهم فى غذاء شخصين منذ ستين عاما . اصبح اليوم يقوم بأود شخصين ونصف شخص. وقد ترتب على هذا ضغط سكانى شديد للسكان الريفيين وللقوى العاملة على الاراضى الزراعية . الامر الذى ادى ومازال الى اجهاد شديد لمورد طبيعى رئيسى وهام فى البيئة المصرية يعتمد عليه السكان اعتمادا مباشرا فى غذائهم ودخلهم القومى .

ومن مظاهر الضغط السكانى فى الريف المصرى ايضا تفتت الملكية الزراعية تفتتا لم تشهد له مثيل فى اى دولة اخرى . ذلك ان ٧٠ ٪ من مجموع الملاك تقل ملكيتهم عن فدان واحد بمتوسط يقل عن عشرة قراريط للمالك الواحد . وتعتبر هذه المساحة القزمية هى النمط السائد لحيازة الاراضى فى الريف المصرى . وهذه تعد مشكلة قومية وبيئية فى المقام الاول .

ومن آثار الضغط السكانى على الاراضى الزراعية فى الريف المصرى كذلك البطالة باشكالها المختلفة فى شهور عديدة من السنة . رغم ارتفاع اجور الاعمال الزراعية فى المواسم الزراعية . وهذه البطالة كانت وراء الهجرات المتتالية من الريف المصرى الى المدن المجاورة اوالمدن الكبيرة

ومن مظاهر الضغط السكانى ايضا على الاراضى الزراعية عدم كفاية الانتاج من غالبية المحاصيل الزراعية لحاجات السكان ويظهر ذلك فى قائمة وارداتنا المستمرة والمتزايدة لاستيراد القمح والذرة • بل واصبح القمح يتصدر قائمة الواردات فى تجارتنا الخارجية واصبح يشكل نسبة كبيرة منها • بعد ان كانت مصر يوما من الايام تمون الامبراطورية الرومانية بحاجتها من القمح •

ولم تكن الصناعة فى البيئة المصرية اسعد حظا من الزراعة فالصناعة رغم نموها السريع فى السنوات الاخيرة ورغم امكانيات نموها فى الوقت الحاضر فانها مازالت عاجزة فى اغلب الاحوال عن استيعاب فائض السكان فى العمل فيها •كما انها فى السنوات القادمة سوف تعجز ايضا عن ملاحقة التزايد السكانى السريع اذا استمر بمعدلاته الحالية

واذا اخذنا معيارا آخر يبرز هذه المشكلة •وهو الدخل القومى ونصيب الفرد فيه مقياسا احصائيا لمستوى المعيشة •فيمكن القول بأن الزيادة السكانية السريعة تقف حائلا دون ارتفاع متوسط الدخل الفردى رغم تزايد الدخل القومى فى مجموعه •

ان عمليات التزايد فى الدخل الزراعى والصناعى والتعدينى ضمن مشاريع التنمية امام التزايد السكانى السريع هذا - امر يدعو الى الدهشة • ذلك لان جميع مشاريع التنمية هذه هى وبحق فوق طاقة احتمال الموارد الطبيعية للبيئة المصرية - الامر الذى يدعو للقول بان هناك مشكلة سكانية لها تاثيراتها المباشرة والقومية على وجود مشكلة اقتصادية كبرى تعانى منها مصر •

ويتضح مما سبق أبعاد المشكلة السكانية على الناحية الاقتصادية غير انه من الضرورى ان نوضح الاثار الضارة المترتبة على النمو السكانى المتزايد فى مصر وارتباطه بالناحية الاقتصادية من جانب اخر • حيث نجد ان هذا الامر هو الذى ادى الى انخفاض مستوى المعيشة كما ذكرنا نتيجة تناقص نصيب الفرد من مساحة المحاصيل الزراعية ••• وتناقص تبعا لذلك وهو المهم هنا نصيب الفرد من كميات الطعام المتاحة • ولقد كان الانتاج المحلى من الطعام كافيا لاحتياجات السكان منذ سنوات بعيدة ايضا • ولكن الزيادة السكانية المضطردة هذه من جهة وزيادة وزيادة معدلات استهلاك السكان نتيجة لزيادتهم _ للمواد الغذائية من جهة اخرى • فقد ادتا الى قصور الكميات المنتجة عن الوفاء بحاجات السكان فى السنوات الاخيرة والتى تشير الاحصائيات فيها الى ارتفاع نسبة المستهلك من الحبوب وانخفاض نسبة المستهلك من اللحوم والاسماك والبيض • ولما كانت المجموعة الاخيرة تتميز باحتوائها على نسبة عالية من البروتين فان اى انخفاض فى متوسط نصيب الفرد منها يؤدى الى نتائج سيئة تؤدى الى انتشار الامراض الناشئة عن سوء التغذية • ويؤدى الى نقص الموارد المتاحة فى تقديم العناصر الغذائية المطلوبة •

ويرتبط بذلك ايضا تزايد معدلات استهلاك السكان فى مصر لسلع مستوردة ترهق الميزان التجارى • وتؤدى الى زيادة الواردات عن الصادرات وهذه السلع المستوردة والتى زاد استهلاكها فى نفس الوقت هما الشاى والسكر والمنسوجات والاطعمة بانواعها •

٢ـ الآثار الاجتماعية لمشكلة السكان فى مصر :

تتمثل الآثار الاجتماعية لمشكلة السكان فى أمرين :

أولهما : عدم كفاية الخدمات الصحية والتعليمية لمتطلبات السكان

وثانيهما : عجز وقصور المرافق العامة عن سد احتياجات السكان ويظهر هذا بوضوح فى المدن الكبيرة وبالاخص مدينة القاهرة .

فعلى الرغم من الجهود الكبيرة والتى تبذل فى هذا الشان والاستثمارات الضخمة التى ترصد لانشاء المستشفيات والمدارس .. فما زالت هذه الخدمات عاجزة عن سد احتياجات المرضى . ومازالت المدارس عاجزة عن استيعاب الملزمين وجميع الراغبين فى التعليم ويرجع ذلك الى الزيادة السكانية السريعة والتى تقلل من آثار الجهود التى تبذل فى هذا الشان .

واذا كانت مصر تشكو تضخما سكانيا فان القاهرة تشكو انفجارا سكانيا وتضخما اكثر حدة وخطورة نتيجة للهجرات المستمرة والمتدفقة اليها من الريف . واصبحت المدينة تقف مكتوفة الايدى وقاصرة عن سد احتياجات سكانها المتزايدة بسرعة بالغة . رغم الجهود التى تبذل فى سبيل حل ازمة المساكن والمواصلات والمياه والكهرباء والمجارى وغيرها ..

٣ـ آثار أخرى للمشكلة السكانية فى مصر :

وتظهر هذه الاثار فى زيادة نسبة الشباب فى المجتمع المصرى حوالى ٤٠٪ من جملة السكان وهذه الزيادة سوف تؤدى الى زيادة

الطلب على فرص العمل ويؤدى ذلك الى زيادة الضغط على الموارد الاقتصادية المتاحة فى البيئة المصرية ـ وهى بطبيعتها محدودة ـ فضلا عن انتشار ظاهرة البطالة المقنعة وخاصة فى الريف المصرى كما ذكرنا من قبل ٠ يصبح من الضرورى توفير حوالى ٤٠٠ الف فرصة عمل كل سنة ٠ تحتاج الى ٢٨٠٠ مليون جنيه لتوفير فرص العمل المطلوبة للسكان الجدد على اساس ان فرصة العمل الواحدة حسب تقدير وزارة التخطيط تتكلف حوالى ٧ الاف جنيه ٠

كما تظهر آثار المشكلة السكانية بوضوح على الاسكان وتوفير السكن للمواطن المصرى ـ حيث يقدر خبراء الاسكان أن مصر تحتاج الى ٢ مليون وحدة سكنية خلال السنوات العشر القادمة ٠ أى نحو : ٤مليون وحدة سكنية حتى عام ٢٠٠٠ ـ هذا بالاضافة الى العجز الواضح فى الاسكان حاليا ٠ والذى يقدر بنحو نصف مليون وحدة سكنية ٠ وهذا له انعكاساته على مشكلات الزواج فى مصر فى الوقت الحاضر ٠

وثمة مشكلة اخرى وسوف نتعرض لها بالتفصيل وهى زحف السكان على الاراضى الخضراء فى توسع عمرانى همجى من اجل السكن او الصناعة او اقامة مشروعات جديدة ونقص المواد التموينية وارتفاع اسعارها ٠

مما سبق تتضح الاثار الناتجة عن المشكلة السكانية فى البيئة المصرية فى بعديها : الاقتصادى والاجتماعى ٠

## ثانيا ـ مشكلة انكماش رقعة الاراضى الزراعية:

تنفرد مصر بمشكلات بيئية أخرى يمكن اعتبارها انعكاسا للمشكلة السكانية ونتيجة مباشرة لها . وفى مقدمة هذه المشكلات مشكلة انحسار وانكماش رقعة الاراضى الزراعية وخاصة المحيطة بمدنها .

وظهرت هذه المشكلة نتيجة لتوسيع النشاطات الحضرية الجديدة التى ادت الى اقتطاع الاف الافدنة من الاراضى الزراعية لاقامة تلك المشروعات العمرانية والحضرية عليها . وذلك حول جميع المدن المصرية . ويظهر ذلك بوضوح فى المنطقة الممتدة مابين مينتى قليوب وشبرا الخيمة . مدخل مدينة القاهرة . ويرجع ذلك الى ان معدل النمو السكانى فى المدن المصرية يزيد كثيرا عن مثيله فى الريف المصرى بسبب الهجرة المستمرة من الريف للمدن . وما نتج عن ذلك من نشأة احياء على الحدود الادارية لتلك المدن وعلى حساب الاراضى الزراعية فى نفس الوقت وهذه الاحياء تشوه الى حد كبير جمال هذه المدن لانها قامت بعيدة عن قواعد التخطيط العمرانى والمدنى الامر الذى ادى الى وجود مشاكل بيئية تصاحبها . كنقص مياه الشرب وعدم توافر المجارى او انفجارها نتيجة الضغط الشديد للطلب عليها . وازدحام المواصلات هذا فضلا عن حرمان القطاع الريفى من مصدر رئيسى للايدى العاملة اذ ان غالبية المهاجرين من الشباب وبالتالى تنخفض انتاجية الارض الزراعية .

## ثالثا ـ مشكلة استنزاف واهدار التربية الزراعية:

تتعدد وسائل استنزاف واهدار مقومات التربية الزراعية

فى مصر ، وهى تمثل فى نفس الوقت مشكلة بيئية ، ينبغى التصدى لها وتتمثل فى اهدار واستنزاف التربة كمورد طبيعى فى تجريف التربة الزراعية على طول ضفاف النيل حيث تمتد مصانع الطوب الاحمر التى تقوم باقتطاع الطمى الذى يعد المقوم الاساسى للتربة الزراعية ومكونا رئيسيا من مكوناتها وعاملا قويا من عوامل الانتاج الزراعى فى مصر وهو مايضيف بعدا اخر لمشكلة الغذاء فى مصر ، وهذا الامر يعد مظهرا من مظاهر السلوك الخاطئ من جانب الانسان المصرى بالرغم من وجود تشريعات تحد من ذلك ويتم ذلك فى الوقت الذى يقرر فيه علماء التربة ان تكوين التربة يحتاج لالاف السنين ، فالذى قدمته الطبيعة خلال سنين طويلة يهدمه الانسان خلال شهور وسنوات ـ جريا وراء جشعه ونهمه وشرهه ـ وكل ذلك يحدث فى الوقت الذى اصبح معدل النمو السكانى السنوى فى مصر يتزايد بمعدل مليون نسمة سنويا .

ويرتبط بزيادة السكان هذه على شريط الوادى والدلتا المصرية ان زحف السكان على الارض الخضراء واقتطعوها لاقامة المشاريع الجديدة والسكن عليها .

ولقد قدر ان جملة ما استصلح من اراضى فى الخطة الاولى والثانية وحتى عام ١٩٧٠ بلغ نحو ١٩٢ الف فدان استقطع منها حوالى ٦٠٠ الف فدان لاقامة هذه المشروعات عليها وذلك نتيجة للزيادة السكانية السريعة ومحاولة ايجاد مكان لها على رقعة المعمورة على طول الوادى والدلتا وحول المدن المصرية بعامة ، وبعبارة ـ

اخرى يمكن القول ان مساحة الاراضى الزراعية التى اضافها مشروع السد العالى - قد اهدرها الانسان المصرى فى اغراض اخرى غير اغراض الزراعة - وبصفة عامة يمكن القول بان الزيادة السكانية هذه فى مصر مسئولة عن ضياع حوالى ٣٠ الف فدان يلتهمها الزحف العمرانى سنويا فاذا اضفنا الى ذلك مشكلة تجريف التربة واستخدامها فى صناعة الطوب الاحمر على طول نهر النيل لادركنا مدى خطورة وجسامة هذه المشكلة فى مورد رئيسى من الموارد الطبيعية للبيئة المصرية ومقوم اساسى من مقوماتها ذات العطاء الحيوى للانسان المصرى.

رابعا : مشكلات الصناعة فى البيئة المصرية :

ولم تسلم مصر من المشكلات التى سببتها الصناعة فى البيئة المصرية. والتى كان من نتائجها التلوث بكثير من انواعه وهو ما اشار اليه خبراء البيئة فى مصر والامم المتحدة فقد اشارت تقاريرهم الى ارتفاع نسبة تلوث الهواء الى ٩٠٪ فى سماء المناطق الصناعية بالقاهرة وتلوث الماء والتربة والغذاء. واوصوا بضرورة العودة الى المقاومة الطبيعية للآفات. والحد من تصريف بقايا ونفايات الصناعة السائلة الى نهر النيل والترع المجاورة والتى تهدد الحياة المائية فيها وتلوث مياهها والحد من استنزاف الموارد الطبيعية

وخلاصة القول ان البيئة تعانى الان نتيجة لنشاطات الانسان غير الواعية والاستهلاك غير الرشيد تعانى معاناة كبيرة اصبحت فوق طاقة احتمالها - وهو امر ينبغى الحد منه وحتى لا يتعرض اجيالنا

القادمة لجوع محقق • وللاصابة بامراض جديدة لم تكن معروفة من قبل وخاصة بين سكان المدن الصناعية نتيجة للاصابة بالتلوث باصنافه المتعددة •

## خامسا : مشاكل التلوث البيئى :

تتعرض البيئة المصرية الى التلوث فى الوقت الحاضر • وترجع مشكلة التلوث البيئى بها الى اربعة مجموعات رئيسية من الاسباب وهى :

* الأولى : وهى تتصل بالاحوال الطبيعية كالعوامل المناخية مثل رياح الخماسين واحاطة صحراء الرمال بالوادى الضيق وتتراوح كمية الاتربة والرمال التى تسقط على مدينة القاهرة نتيجة عواصف الخماسين بين ٤ر٦ وبين ٣ر٢٢ طن فى الميل المربع • بمتوسط ٦ر١٥ طن فى الميل المربع • وتزداد هذه النسبة اثناء هبوب العواصف

* الثانية : التطور الصناعى وماتفرزه الصناعة من مخلفات كيماوية تنطلق فى الهواء او تصرف على الارض اوالى مجارى المياه فعلى سبيل المثال ازداد النشاط الصناعى فى منطقة القاهرة الكبرى خلال العشرين عاما الاخيرة حتى اصبحت تضم مئات المصانع • اذ تضم شبرا الخيمة وحولها مايزيد عن ٤٠٠ مصنع يعمل منها اكثر من ٥٦٫٠٠٠ الف عامل معظمها صناعات نسيجية وصناعات هندسية وكهربائية وكيميائية وغذائية • وتكرير بترول • ومصانع لتعبئة الغاز الطبيعى

كما تضم منطقة حلوان الصناعات الثقيلة مثل : صناعة الحديد والصلب

وصناعات الاسمنت والكوك والسماد ومحطات القوى الكهربائية ـ ويعمل في هذه المصانع مايزيد عن ٦٢ الف عامل .

وجميع هذه الصناعات القديم منها والحديث لاتوجد فيها الوسائل اللازمة للتحكم في المخلفات المتسربة منها في الهواء الجوى مما جعل النشاط الصناعي فيها مصدرا كبيرا للتلوث وهو مايحدث في بحيرة مريوط وهي احدى البحيرات الشمالية لمصر . وتقع جنوب الاسكندرية وهي لاتتصل بالبحر المتوسط كما هو الحال بباقي البحيرات الشمالية وبالقرب من شاطئ البحيرة الشمالي تقع مناطق التصنيع في احياء محرم بك وكرموز . وتصب هذه المصانع مخلفاتها الصناعية السائلة وغيرها في البحيرة .مما زاد من درجة التلوث بها . وجعلها بيئة غير صالحة في معظم اجزائها لتربية الاسماك بل اصبحت منطقتها ضارة بالصحة العامة للسكان المجاورين لها .

* والثالثة : يحدث تلوث البيئة المصرية من جراء وسائل النقل والمواصلات مما تخرجه من دخان وغازات ضارة في الجو يحسها ويلاحظها المارة في ميادين ومحطات السكك الحديدية والقاطنين في الاحياء السكنية المجاورة بها والواقفين في الاشارات اثناء توقف هذه الوسائل والسيارات .وعلى سبيل المثال يوجد بمدينة القاهرة الان مايزيد على ١٢٠ الف وسيلة نقل تستخدم البنزين والسولار . وتستهلك سنويا مايزيد على ٢٠٠ الف طن من البنزين و ٥٠٠ الف طن من السولار لذا فتقدر غازات العادم التي تخرج الى اجواء القاهرة بكميات تصل الى اكثر من ٧٥٠ الف طن سنويا معظمها الى كثرة استخدام المركبات

التى تستخدم السولار كوقود ..

* والرابعة : تتصل بالتطورات والاستخدامات الزراعية . كاستخدام المبيدات والاسمدة وكذاك التطور فى تكنولوجيا استعمال المبيدات كاستخدام الطائرات فى رش المبيدات وماينتج عن ذلك من قتل الالاف من الطيور النافعة للفلاح المصرى والحيوانات والحشرات النافعة للانسان . هذا بالاضافة الى تلوث الهواء والماء .

التلوث بالضوضاء :

ومن اخطر الملوثات البيئية حاليا والتى قد لايتبادر الى اذهان الكثيرين طراز اخر من التلوث وهو التلوث بالضوضاء التى اصبحت من سمات العصر وبخاصة فى المجتمعات النامية ومنها مصر . ويترتب على هذا النوع من التلوث آثار ضارة تهدد الانسان فى راحة باله واستمتاعه بهدوء بيئته وتتعدى ذلك الى تهديد صحيا سواء كان ذلك فى صحته البدنية ومايترتب على الضوضاء من آثار فى اجهزة الجسم او فى صحته النفسية .

والضوضاء كمشكلة من مشاكل البيئة المصرية تتزايد حدتها يوما بعد يوم وهو مانشاهده ونعانيه فى مدينة القاهرة الان . وفى المدن الاخرى بوجه عام نتيجة لازدياد النشاط العمرانى وما يصاحبه من ازدياد الضوضاء الصادرة من وسائل النقل واجهزة التنبيه فيها . والتى تملأ الشوارع ليلا ونهارا وكذلك من مكبرات الصوت التى لاتتوقف فى اى وقت من الليل والنهار . وغير ذلك من

مصادر الضوضاء وعلى الرغم من سن القوانين والتشريعات للحد من الضوضاء بمنع استعمال الات التنبيه وتنظيم استعمال مكبرات الصوت وتحديد ساعات معينة لاستعمالها . الا انه فى معظم الحالات لاتحترم هذه التشريعات والقوانين وتؤثر الضوضاء تأثيرات سيئة على صحة الافراد . كالصعوبة فى التخاطب والمضايقة والتأثير على الكفاءة وحسن الاداء . والصمم نتيجة حدوث الم وصفير فى الاذن . ونقص نشاط المعدة . وتوتر العضلات وزيادة فى ضغط الدم وسرعة النبض وتغيير فى نشاط الغدد الصماء وقصور فى بعض الوظائف الحيوية .

× × ×

ـ( تطبيقات لتنمية المجتمع المصرى )ـ

## تنظيم الأسرة فى المجتمع المصرى

مقدمـــة :

سبق ان تعرضنا فى فصل سابق من هذا الكتاب لموضوع تنظيم النسل فى المجتمعات الانسانية عامة وكان تركيزنا فى هذه الناحية على المجتمعات الغربية • فاذا اردنا ان نستعرض وضع المجتمع فى مصر من هذه الظاهرة وجدنا ان صلته بها تكاد لاتبدأ الا فى ١٩٣٧ فقط • وذلك بعد ان ظهرت نتيجة التعداد العام معلنة ان تعداد عدد سكان مصر قد ارتفع الى حوالى ١٦ مليون نسمه ••• الامر الذى ادى الى تخوف الكثيرين من ضخامة هذا العدد والى بداية الحديث حول ضرورة الحد من الزيادة السكانية والى ظهور فكرة تحديد النسل كحل لهذه المشكلة •

ولقد كتب حول موضوع السكان وقتئذ عدد غير قليل من الكتاب نذكر منهم وندل كليلاند Wendell Cleland الذى عبر عن تشاؤمه فى كتابه The Population Problem of Egypt الذى رأى فيه ان عدد السكان فى مصر يتجه الى الزيادة الضخمة وقد توقع على هذا الاساس ان هذا العدد سيصل الى ٣٢ مليونا فى سنة ١٩٩٨ اذا استمر معدل الزيادة على ماهو عليه وقتئذ ( أى فى سنة ١٩٣٧ ) وكان هذا المعدل ٦ر١٪ سنويا ولعل كليلاند كان متواضعا فى تقريره لانه لم يفطن الى ان المعدل سيزيد عما كان عليه حتى لقد وصل الى التقدير المتوقع ليس فى ١٩٩٨ وانما قبل

ذلك بثلاثين عاما اى فى ١٩٦٨ حينما وصل عدد السكان فى مصر الى حوالى ٣٢ مليونا ٠

ولقد كتب حول موضوع السكان ايضا فى ذلك الوقت (مريت غالى) وكان هو الاخر متشائما من اطراد الزيادة بين السكان فى مصر ٠ وقد عبر عن رايه فى كتابه الذى وضعه فى سنة ١٩٣٨ بعنوان " سياسة الغد " وكان تشاؤمه مبنيا على اساس ان السكان يزيدون دون زيادة فى الموارد الزراعية تتناسب مع الزيادة السكانية كما كتب حول موضوع السكان فى مصر وقتئذ عدد آخر من الكتاب كان بعضهم متفائلا والبعض الاخر متشائما ٠ ويمكن ان نذكر منهم A.Crouchley فى كتابه The Economic Develoment of Modern Egypt

وبونيه A. Bonné فى كتابه:
The Econofnic Development of Middle East

وهكذا كانت مثل هذه الكتابات سببا فى ان يبدأ الحديث حول الحلول اللازمة لهذه المشكلة ومنها الدعوة لتنظيم الأسرة أو تحديد النسل ٠ولقد تزعمت هذه الحركة وقتئذ " الجمعية الطبية المصرية " التى نظمت عددا من المحاضرات كما جمعت عددا من المقالات والبحوث واصدرتها فى عدد خاص من مجلتها فى ١٩٣٧ بقصد توعية المواطنين من هذه الناحية ٠ ولكن لما كان الراى السائد وقتئذ ان الدين الاسلامى يحرم مثل هذا الاتجاه فقد طلبت الجمعية الى دار الافتاء اصدار فتواها حول هذا الموضوع وذلك عن طريق الرد على السؤال التالى :

" اذا كان لدى احد الرجال المتزوجين طفل . وكان يخشى ان هو انجب اطفالا اخرين ان يصبح غير قادر على تربيتهم اورعايتهم اوكان يخشى على صحة زوجته من عمليات الحمل المتكررة . فهل فى ظل هذه الظروف يسمح لاى من الزوج او الزوجة بممارسة احدى الوسائل لمنع هذا الحمل المتكرر حتى يمكن للزوجة ان تنال راحتها والا يتحمل الزوج اعباء فوق طاقته .

وفى رد المفتى على هذا السؤال فى ١٥ يناير عام ١٩٣٧ نجده وقد قسم الاجابة قسمين على الوجه التالى :

اولا : فيما يتعلق بوسائل ضبط النسل للاسباب السابقة فان المذهب الحنفى لايمانع فى ممارسة الوسائل التى تمنع السائل المنوى من تأدية وظيفته . وكان الحنفيون قديما يرون ان ممارسة هذه الوسائل من جانب الزوج او الزوجة مسموح بها بشرط موافقة الاخر . أما حديثا فهم يرون ان هذه الممارسة يمكن ان تتم دون موافقة الطرف الآخر ان كان هناك مايخشى منه على مستقبل الطفل اوصحة الام .

ثانيا : تناولت بقية الفتوى الرأى حول حدوث الحمل رغم ممارسة احدى وسائل المنع . وان كان فى الامكان ممارسة عملية الاجهاض اذا حدث هذا .

وتقول الفتوى ان الاحناف يختلفون حول هذه الناحية فعلى الرغم من ان الاجهاض ليس مباحا كقاعدة عامة الا انهم وافقوا على الاستثناء اذا حدث قبل تحرك الجنين فى بطن امه . وذلك اذا كانت

هناك خطورة من هذا الحمل على الطفل السابق كأن يكون سببا في وقف ادرار لبن الام . او اذا رفض الطفل ان ترضعه غير امه او اذا كان الاب غير قادر على احضار مرضعة له . اما اذا كانت الحياة قد دبت في الجنين حرم الاجهاض كلية .

## تنظيم الأسرة وأثره على النمو السكاني :

على الرغم من ان الدعوة لتنظيم الاسرة في مصر قد بدات كما سبق القول في ١٩٣٧ اى منذ حوالى اربعين عاما ، فان استجابة المواطنين لهذه الدعوة لم تكن ايجابية بدليل نسبة المواليد التى ظلت على ارتفاعها طوال هذه السنوات الاربعين . هذا في الوقت الذى اصبح المجتمع المصرى فيه لا يعانى من كثرة المواليد فحسب بل وعلى ما يترتب على نقص نسبة الوفيات في الوقت نفسه اذا جاز استخدام هذا التعبير فلقد كانت الطبيعة فيما مضى تتكفل بالزيادة بين السكان عن طريق الوفيات وكان هناك على هذا الاساس نوع من التوازن . وهذا ما كان يحدث في العالم الغربى كما كان يحدث في مصر ، فلما بدأت نسبة الوفيات تنخفض نتيجة للتقدم الصحى والعلاجى ابتداء من القرن التاسع عشر واخذ عدد السكان يزداد تبعا لذلك بدأ الوعى ينتشر لاعادة التوازن من جديد عن طريق خفض نسبة المواليد . اما في مصر فقد استفاد المجتمع فعلا من التقدم الصحى فانخفضت نسبة الوفيات ولكن ظلت نسبة المواليد على ما هى عليه من ارتفاع واتجهت الزيادة الطبيعية الى الارتفاع تبعا لذلك عاما بعد الاخر حتى وصلت الان الى حد يكاد لا ينافس فيه مصرى أى مجتمع آخر .

ويمكن توضيح هذه الناحية بالارقام اذا قارنا الوضع الذى تجتازه مصر حاليا بماكان الحال عليه منذ ثلاثين عاما ٠ فقد كانت نسبة المواليد فى سنة ١٩٣٦ حوالى ٤٤ فى الالف ونسبة الوفيات ٢٩ فى الالف وكانت الزيادة الطبيعية بذلك ١٥ فى الالف ـ اما فى سنة ١٩٥٥ فقد ظلت نسبة المواليد على ارتفاعها ٤٢ فى الالف بينما انخفضت نسبة الوفيات الى ١٥ فى الالف واصبحت الزيادة الطبيعية بذلك ٢٧٫٢٪ وهو رقم يكاد ان يكون ضعف ماكان عليه فى سنة ١٩٣٦

وقد ظل الامر على هذا الحال ٠ ارتفاع فى نسبة المواليد وانخفاض تدريجى فى نسبة الوفيات وارتفاع فى الزيادة الطبيعية ٠ ظل الامر على هذا الحال حتى سنة ١٩٦٧ حينما بدأت نسبة المواليد تهبط تدريجيا ٠ وبدأت الزيادة الطبيعية تنخفض هى الاخرى تدريجيا وربما يرجع ذلك الى زيادة الوعى بين المواطنين فيما يتعلق بعملية تنظيم الاسرة ٠ وهو امر يود المجتمع لو يستمر حتى يصل بنسبة مواليده الى الحد المعقول ٠ اذ لا يزال معدل المواليد مرتفعا ولا تزال الزيادة الطبيعية مرتفعة بالتالى ٠ ذلك لان نسبة المواليد وصلت الى ادنى معدل لها فى سنة ١٩٧٢ حينما اصبحت ٣٤٫٤ فى الالف ولكن نسبة الوفيات كانت فى نفس السنة ١٤٫٥ فى الالف الامر الذى ترتب عليه زيادة طبيعية قدرها ١٩٫٩ فى الالف ٠ وهى زيادة لا تزال كبيرة ٠

ومثل هذا الوضع لم يحدث فى البلاد الاخرى التى لجأت الى ممارسة وسائل تحديد النسل بشكل جدى ٠ ففى انجلترا مثلا كانت

نسبة المواليد فى سنة ١٩٠٠ حوالى ٣٠ فى الالف ونسبة الوفيات ٢٠ فى الالف بزيادة طبيعية قدرها ١٠ فى الالف . فلما انخفضت نسبة الوفيات فيها فى سنة ١٩٦٠ الى ١١٫٥ فى الالف كانت نسبة المواليد قد انخفضت هى الاخرى الى حوالى ١٧٫٥ فى الالف واصبحت الزيادة الطبيعية بذلك ٦ فى الالف . اما فى سنة ١٩٧٢ فقد انخفضت نسبة المواليد فيها الى ١٤٫٤ فى الالف . كما كانت نسبة الوفيات ١٢٫١ فى الالف واصبحت الزيادة الطبيعية بذلك ٢٫٣ فى الالف فقط .

فالنتيجة الطبيعية لهذا الوضع لاتزال تجتازه مصر لاننا نجد نجد مجتمعا يزداد عدده بشكل واضح بل ان معدل الزيادة يرتفع من تعداد لاخر . وليس ابسط من توضيح هذه الناحية بالارقام .. فقد كان عدد سكان مصر فى سنة ١٩٠٠ حوالى ١٠ ملايين ثم ارتفع هذا العدد الى ٢٦ مليونا فى سنة ١٩٦٠ ـ ثم الى اكثر من ٣٠ مليونا فى سنة ١٩٦٦ ويكون عدد السكان قد ارتفع بهذا بنسبة ٢٠٠٪ فى حوالى ستين عاما . بل ان المجتمع يمر اليوم بمرحله يزداد فيها النمو وضوحا عما كان عليه فيما مضى . نموا لم تعرفه مصر اطلاقا قبل السنين الستينية من القرن العشرين فتقدير السكان فى مصر فى سنة ١٩٧٣ يقول ان عددهم وصل الى ٣٥٦١٩٠٠٠ وهذا يعنى زيادة فى المائة قدرها ١٨٫٢ عن عددهم فى سنة ١٩٦٦ اى بمعدل زياده قدره ٧٨٣٠٠٠ نسمه فى العام خلال هذه السنوات السبع وهو معدل ضخم فعلا ..

ويبين الجدول رقم ( ٥٣ ) نسبة المواليد ونسبة الوفيات والزيادة الطبيعية فى مصر كل خمس سنوات من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٧٢

## جدول رقم ٥٣

نسبتا المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى مصر

كل خمس سنوات من ١٩١٧ إلى ١٩٧٠

| السنة | نسبة المواليد | نسبة الوفيات | الزيادة الطبيعية |
|---|---|---|---|
| | ٪ | ٪ | ٪ |
| ١٩١٧ | ٤٠.١ | ٢٩.٤ | ١٠.٧ |
| ١٩٢٢ | ٤٣.١ | ٢٥.١ | ١٨.٠ |
| ١٩٢٧ | ٤٤.٠ | ٢٥.٢ | ١٨.٨ |
| ١٩٣٢ | ٢٤.٥ | ٢٨.٥ | ١٤.٠ |
| ١٩٣٧ | ٤٣.٤ | ٢٧.١ | ١٦.٣ |
| ١٩٤٢ | ٣٧.٦ | ٢٨.٣ | ٩.٣ |
| ١٩٤٧ | ٤٣.٨ | ٢١.٤ | ٢٢.٤ |
| ١٩٥٢ | ٤٥.٢ | ١٧.٨ | ٢٧.٤ |
| ١٩٥٧ | ٣٧.٨ | ١٧.٨ | ٢٠.٠ |
| ١٩٦٢ | ٤١.٣ | ١٧.٩ | ٢٣.٤ |
| ١٩٦٧ | ٣٩.٢ | ١٤.٢ | ٢٥.٠ |
| ١٩٧٢ | ٣٤.٤ | ١٤.٥ | ١٩.٩ |

## (الفلسفة التى تقوم عليها الدعوة لتنظيم الاسرة)

لعله من الخطأ ان يظن بعض الناس ان الدعوة لتنظيم الاسرة او لتحديد النسل تهدف الى التحديد فى ذاته كهدف اوتهدف فقط الى خلق نوع من التوازن بين عدد السكان وبين كمية المواد الغذائية المتوفرة فى المجتمع .وهذا الظن انما يعبر عن الخطأ الذى وقع فيه روبرت مالس عندما اقتصر فى نظريته على ضرورة التوازن بين عدد السكان وانتاج الارض من الغذاء.. الامر الذى نقدت من اجله آراؤه بقسوة كما سبق ان وضحنا فى فصل سابق من هذا الكتاب.

الواقع ان الحياة الانسانية ليست مجرد الحصول على القوت او لقمة العيش فحسب لان هذه الناحية لاتشكل سوى ناحية واحدة من نواحى الحياة المتشعبة التى تتأثر وترتبط ارتباطا مباشرا بعدد السكان ومن هذه النواحى الكثيرة التى تتعلق بحياة الانسان فى المجتمع والتى تؤثر فى هذه الحياة تاثيرا مباشرا مايتعلق بها من امور كالتعليم والرعاية الصحية والاسكان وطرق النقل ووسائله ومعدل الانحرافات فى المجتمع والاستقرار فى الريف اوالمدن . وغيرذلك من امور اخرى تتعاون فى مجموعها على رفع اوخفض مستوى المعيشة عامة فى زمان ومكان بعينه.

ونحن اذا استعرضنا هذه الامور وجدنا ان توفير القوت ربما كان من اقل النواحى التى تتعلق بزيادة السكان اهمية. بل ان هذه الناحية لو انها كانت الهدف الاساسى نجد اننا قد استطعنا فى بلدنا ان نتغلب عليها بشكل واضح وذلك عن طريق الجهود التى تبذلها الدولة -

لرف الدخل القومى فى سنة ١٩٥٢ـ١٩٥٣ وبينه بعد عشر سنوات اى فى سنة ١٩٦٢ـ١٩٦٣ وحيث كان فى السنة الاولى ٨٠٦ ملايين جنيه ثم ارتفع بعد عشر سنوات الى ١٥٦٣ مليون جنيه وهو ارتفاع كبير يكاد ان يكون ضعف ماكان عليه ٠ كما ازداد متوسط دخل الفرد بالتالى من حوالى ٣٧ جنيها الى حوالى ٥٩ جنيها فى العام ٠ بل ان نسبة الزيادة فى الدخل القومى وفى متوسط دخل الفرد خلال هذه السنوات قد ازدادت فعلا عن نسبة الزيادة فى السكان خلال نفس الفترة ولقد استمرت الزيادة فى الدخل القومى بعد ذلك حتى وصل مقدار هذا الدخل ٣١٧٣ مليونا فى سنة ١٩٧١ـ١٩٧٢ ٠ كما ارتفع متوسط دخل الفرد بذلك الى حوالى ٩٣ جنيها فى العام ٠

واذن فالمسألة ليست مجرد زيادة فى الدخل القومى او زيادة فى دخل الفرد لان هناك ماهو اعلى من ذلك وهو ماتقوم به الدولة من انفاق يهدف الى تحقيق الحاجات الاساسية للمواطنين وتحقيق حياة اكثر راحة ورفاهية لهم وخاصة بعد ان تحول المجتمع فى مصر الى مجتمع تسوده المبادئ الاشتراكية واصبحت فيه الدولة مسئولة مسئولية كاملة عن مواطنيها ٠ وعلى ذلك فليس غريبا ان نجد ان اجمالى مصروفات الدولة قد ارتفع من حوالى ٢٠٨ ملايين فى سنة ٥٢ـ١٩٥٣ الى ٢٧٨٥ مليونا بين فى سنة ١٩٧١ـ١٩٧٢ وهو ارتفاع تزيد نسبته على ١٢٤٠ فى المائة مما يوضح لنا الى اى مدى تتحمل الدولة من اعباء فى سبيل اعادة تنظيم المجتمع بحيث ينال كل مواطن نصيبه من حقوقه فى بلده ٠ وهذا الاتجاه هو اسمى ماتهدف اليه المبادئ الاشتراكية عامة ٠

ولا تتجه الدعوة الى تحديد للنسل اوتنظيم الاسرة ان تمتنع الاسر عن الانجاب او الى ان تكتفى بمولود واحد او اثنين وانما تهدف الى الاعتدال فى الانجاب كما تهدف الى انتشار وعى تخطيط الاسرة بين المواطنين بحيث يتفق هذا التخطيط مع ظروف الاسرة وامكانياتها وسنجد حتما ان معدل الزيادة بين السكان يتجه الى الانخفاض اذا انتشر هذا الوعى بين المواطنين .ولا شك انه من الانانية فى اى مجتمع اشتراكى ان تترك الاسرة نفسها تنجب من الاطفال ماشاء لها ان تنجب لان كل زيادة غير مرغوبة فى عدد المواليد لن تعود بالضيق على الاسرة التى انجبت هذه الزيادة فقط وانما تعود بالضيق على غيرها من الاسر ايضا .

ويمكن ان نضرب لذلك مثلا واضحا بفرص التعليم التى يهيئها مجتمعنا الاشتراكى فى مصر بالمجان فى جميع مراحله . وحيث نجد ان هناك من الاسر من تبعث بخمسة ابناء او اكثر الى دور العلم المختلفة فى وقت واحد . حقيقة ان الالتحاق بدور التعليم يسير حسب مبدأ تكافؤ الفرص الذى يتمثل هنا فى التفوق الدراسى اوالحصول على المجموع الاكبر ولكن مع ذلك ومع تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص يمكن ان نقول ان الاسرة التى تبعث بخمسة من ابنائها الى المدارس مع حصولهم على المجموع المطلوب تكون قد منعت بذلك ابنا وحيدا عند اسرة اخرى لم يحصل على المجموع الذى يؤهله للالتحاق باحدى المدارس الاعدادية او الثانوية اوالجامعة .ولا شك ان فرصة هذا الابن للالتحاق كانت ستكون اكبر لو لم تكن هناك هذه الاسرة المنافسة كبيرة العدد .ومايقال عن فرص التعليم يمكن ان يقال عن باقى انواع الرعاية التى تنظمها الدولة

لمواطنيها سواء ماتعلق بهذه الرعاية من نواحٍ صحية او ترفيهية اورياضية اوغيرها من النوحى ٠

هذا ويمكن ان نضيف الى النقطة السابقة مايمكن ان يجنيه المجتمع الاشتراكى اذا ما اعتدل المواطنون فى انجابهم من تحقيق مبدأ اشتراكى هام وهو تضييق الفوارق بين الطبقات اذ الواقع ان الاسرة التى يزداد عدد افرادها بطريقة لاتتفق وامكانياتها تكون قد حكمت على نفسها بتدهورها اقتصاديا واجتماعيا ٠ كما تكون بذلك قد ازدادت بعدا من هاتين الناحيتين من اسرة اخرى كانت معتدلة فى انجابها ٠ ولاشك ان العامل الاقتصادى عامل هام فى تحديد البعد الاجتماعى والوضع الطبقى اجمالا ٠ ومجتمعنا ملىء بالاسر التى كانت تستطيع ان تعيش فى مستوى اعلى واكثر راحة لوانها لجأت الى وضع تخطيط لها ٠

ومما سبق يمكننا ان نقول ان الاتجاه الى تنظيم الاسرة فى مجتمعنا الاشتراكى لم يعد التزاما ادبيا كما يخطر على بال الكثيرين لانه فى الواقع انتقل من مرحلة الالتزام الادبى الى مرحلة الالتزام القومى فالمواطنون فى مصر كأعضاء فى مجتمع اشتراكى عليهم ان يدركوا ان المجتمع الاشتراكى لكى يبقى ويستمر كان على كل عضو فيه ان يشعر بمشاكله ٠ وكما ان المجتمع شركة فى الحقوق فهو ايضا شركة فى الواجبات ٠ ومن واجب مواطنيه المساهمة فى حل مشاكله ومنها مشكلته الكبرى التى تتمثل فى هذه الزيادة السكانية التى لايكاد ينافسهم فيها اى مجتمع آخر ٠

x x x

# الفصل السابع

# أسس ومبادئ التنمية والتخطيط في ضوء التربية

# الفصـــل السابـــع

## أسس ومبادئ التنمية والتخطيط في ضـوء التربية

### أولا : التنميـــة :

#### * ماهيـــة التنميـــة :

هناك فرق واضح بين التنمية والنمو الطبيعي Natural Growth الذي يحدث في المجتمعات . فالنمو الطبيعي في المجتمعات هو تقـدم لاشعوري . اما التنمية فهي عملية شعورية متعمدة ومخططة . وقـد اختلف الباحثون والكتاب حول تعريف التنمية :

فنجد الدكتور جمال الجنزوري يعرف التنمية بكلمتين همـا التغيير ( change ) والنمو ( Growth ) ويعني بالتغيير التغيير الاجتماعي والثقافي . ويعني بالنمو النمو الاقتصادي الـذي يلعب دورا كبيرا في التنمية .

ويرى الدكتور علي لطفي ان التنمية هي عبارة عن اجراءات وسياسات وتدابير متعمدة تتمثل في تغيير بنيان وهيكل الاقتصاد القومي .

وهي بمفهوم الدكتور ابراهيم سعد الدين محاولة ايجابية ومتعمدة بواسطة شعب ما من اجل اللحاق بالمستوى الاقتصادي والاجتماعـي لمستويات شعوب اخرى سبقته الى زيادة ثروتها الانتاجية ومتوسـط دخل افرادها ورفاهيتهم ..

ويرى الدكتور عبدالمنعم شوقى انها العمليات التى تبــــذل بقصد ووفق سياسة عامة لاحداث تطور وتنظيم اجتماعى واقتصادى ـ للناس وبيئاتهم ٠

ويرى صلاح الفوال انهامحصلة الجهود العلمية المستخدمة لتنظيم الانشطة المشتركة الحكومية والشعبية فىمختلف المستويات٠

وقد اوضح الدكتور امام سليم فى تعريفه ان التنمية تشمل بــذل الجهود فىجميع ميادين الحياة فىالمجتمع سواء كانت سياســـية او اجتماعية اواقتصادية فىصورة متوازنة حسب الامكانياتوالاحتياجات

وهناك عدة تعريفات اصدرتها الامم المتحدة فى نشراتها يركز احداها علىان التنمية عبارة عن مجموعة الوسائل والطرق التىتستخدم بقصد توحيد جهود الاهالى معالسلطات العامة من اجل تحســـين مستوى الحياة من النواحى الاقتصادية والاجتماعيةوالثقافية فىالمجتمع

ويرى ٠ الحسينى بدر ان عملية التنمية فى التوسع الكمى والنوعى والكيفى والهيكلى للاقتصاد القومى ٠ علاوة علىانها عملية التوســـع المستمر فىالانتاج والخدمات لمقابلة النمو فىحاجات الناس بقصد اشباعها وذلك خلال فترات زمنية محددة٠

ونخلصمن التعريفات السابقةان للتنمية جانبان : جانب بشرى وجانب مادى ويلزم ان ترتكز التنمية على كلا الجانبين معـــا مع تحقيق التوازن الكامل ضمانا لحياة المجتمع ومحافظـة عـــلى ترابطه وتقدمه ٠

* نظريات التنميـــــــة :

هناك عدة نظريات نعرض منهـــا :

١ـ نظرية الدفعة القوية والنمو المتوازن :

" Theory of big push and Balanced Growth "

وهى ترى " ان القضاء على التخلف الاقتصادى فى الدول النامية يحتاج الى دفعة قوية وربما سلسلة من الدفعات القوية بتخصيص قدر كبير من المشروعات المتكاملة مع تحقيق توازن بين الزراعة والصناعـــة فى برامج التنمية لان تخلف احدهما يعرقل الاخر . "

وتعتبر نظرية الدفعة القوية حتمية . لعدة اسباب اهمها :

١ـ عدم قابلية الانتاج للتجزيـــة :

يعنى ان تجزئة المشروعات وراس المال الاجتماعى يعتبر تهديدا للموارد . وبمعنى آخر انه لا يتيسر اقامة المشروعات تدريجيا بل تلزم دفعة قوية لكبر حجم هذه المشروعات وارتفاع الاستثمارات اللازمـــة لاقامتها .

٢ـ عدم قابلية الطلب للتجزئة :

تتميز الدول النامية بضيق حجم السوق ونتيجة لذلك ان كل وحدة او صناعة لا تستطيع ان تخلق بمفردها الطلب الكافى لاستيعاب منتجاتها . لذا يلزم تكامل الطلب بانشاء عدة مشروعات متباينـــة فى آن واحد تخلق اسواقا لتصريف بعضها .

وهناك عدة اسباب يمكن ان توجه على اساسها النقد للنظريـــة أهمهـــا :

أ ـ افتراض توافر مبالغ ضخمة من رؤوس الاموال لدى الدول النامية

ب ـ افتراض توافر اعداد ضخمة من الكفاءات الفنية والادارية اللازمين للاشراف على هذه المشروعات ٠

جـ ـ تطبيق النظرية يؤدى الى قيام قطاعين مستقلين داخل الاقتصاد القومى ٠ قطاع صناعى حديث متقدم وقطاع تقليدى متخلف

د ـ يمكن ان تظهر عقبة ضيق حجم السوق عند توجيه الانتاج للتصدير او احلال للواردات

هـ ـ تعدد الصناعات الاستهلاكية يؤدى الى صغر حجم الوحـدات الانتاجية عن الحجم الامثل ٠

و ـ تفترض النظرية ان الدول النامية تبدأ من الصفر وهذا مغاير للواقع

**ثانيا : نظرية النمو غير المتوازن :**

" Theory of unbalanced Growth "

ترى هذه النظرية ٠ ان التنمية الاقتصادية يجب ان تبدأ بانجاز بعض الصناعات الرائدة ثم تنتشر بعد ذلك تلقائيا الى بقية القطاعـات فى الاقتصاد القومى ٠

ويوجه الى هذه النظرية بعض النقد :

افتراضها ان التنمية تتم دون وجود خطة شاملة ٠عكس ما هـــو واقع بالفعل من ان التنمية لا يمكن ان تتم الا فى ظل خطة شاملة ٠

والخلاصة ان اختلاف طبيعة المشاكل التى تواجه الدول النامية تحتم اختلاف طريقة علاجها وعليه لا يمكن وضع نظرية اقتصادية او استراتيجية للتنمية يمكن تطبيقها فى جميع الدول النامية .

( مراحـــل التنميـــة )

تمر المجتمعات عند تنميتها بعدة مراحل وهناك نظرية شائعة لمراحل التنمية وقد حاول كثير من الكتاب والباحثين تقسيم المجتمعات حسب تطورها الاقتصادى . فنجد ابن خلدون قد قسمها الى مجتمعات الرعى ثم الزراعى ثم الصناعة ثم مجتمعات الخدمات . فى حين قسمها ماركس على اساس اختلاف العلاقات الانتاجية السائدة فى المجتمع .. فيبدأ بالشيوعية البدائية ثم العبودية ثم الاقطاع ثم المجتمع الراسمالى حتى نصل الى المجتمع الاشتراكى .

وهناك نظرية شائعة تعرف " بنظرية روستو " Ratow's Growth stages لمراحل التنمية . وفيها قسم روستو مراحل تطـــور المجتمعات الى خمس مراحل هى : مرحلة المجتمع التقليـدى ، مرحلة الانتقال . مرحلة الانطلاق . مرحلة النضج . ومرحلـــة الاستهلاك الوفير او العالـــى .

وفيما يلى عرض مفصل لهذه المراحل :

اولا : مرحلة المجـتمع التقليدى : The traditional saciety

يرى روستو ان المجتمع التقليدى يتمثل فى المجتمعات التى كانت

سائدة في الحياة القبلية والاسرية في الصين والمجتمعات التي توجد في الشرق الاوسط ومجتمعات العصور الوسطى في اوربا وهذه سمات تميز هذه المجتمعات:

١ـ مجتمع زراعي يعمل في الانتاج الغذائي ٧٥٪ واكثر من القوى العاملة •

٢ـ تتركز الثروة والسلطة في ايدي الاقطاعيين •

٣ـ يصرف الدخل الفائض على نشاطات غير انتاجية مثل ( الديانة الاعياد • الحروب • القصور • المعابد ) •

ثانيا : مرحلة المجتمع الانتقالي : Transition stage

وهي مرحلة انتقال يتمكن فيها المجتمع من البدء في استغلال ثمار العلم الحديث •ويغلب في ظروف الانطلاق في كثير من الدول انها لم تنبعث من داخل المجتمع فحسب انما كانت تتسرب اليه ايضا من الخارج عن طريق المجتمعات الاكثر تقدما • بحيث تودي . هذه الغزوات الى المسارعة في التحلل من القديم اومحاولة أنشاء شكل حديث للمجتمع من خلال حضارته التقليدية ويمكن تلخيص سمات هذه المرحلة فيما يلي :

١ـ الدخل الفائض يصرف على الطرق ـ السكة الحديد •المدارس ـ المصانع •

٢ـ زيادة معدل الاستثمار في الخدمات اللازمة لنمو الاقتصاد

٣ـ المصروفات على هذه الخدمات لها ثلاث خصائص :

أ ـ تأخذ فترة طويلة حتى تعطى عائـــدا

ب ـ تحتاج استثمارات كبيـــرة Lampy

جـ ـ عائد هذه الخدمات يعود على المجتمع ككل وبطريقة غير مباشرة على المستثمرين •

**ثالثا : مرحلة الانطـــلاق : The take off stage**

وهى الحد الفاصل الذى يتم عنده كسر حدة المقاومات التى ظلت تناوئ النمو ويرى " روستو " ان التغيرات الجذرية فى الانتاج الزراعى تعتبر من اهم الشروط فى احداث انطلاق ناجح على اعتبار ان تقدم المجتمع يؤدى الى زيادة احتياجاته من المنتجات الاستهلاكيـــة الزراعية المتعـــددة •

ويشترط "روستو" توفر العناصر التالية فى مرحلة الانطلاق :

١ ـ زيادة معدل الاستثمار ( من ٥ ٪ ـ ١٠ ٪ من الدخل القومـى اوالناتج القومى الصافى ) •

٢ ـ تنمية وتطوير واحد اواكثر من قطاعات الصناعة الهامة

٣ ـ توفر التنظيمات السياسية والاجتماعية

**رابعا : مرحلة النضـــوج : maturity stage**

يبدأ المجتمع فى استخدام الطرق التكنولوجية الحديثـــة وخاصة فى الانشطة الاقتصادية ويواظب على استخدام نسبة من الدخل القومى تتراوح بين ١٠ ، ٢٠ ٪ حتى يزيد الانتاج بمعدل يفوق النمو السكانـــى •

ويمكن تحديد سمات هذه المرحلة على الوجه التالى :

١ ـ التغيير فى القوى العاملة نتيجة التأثر بالتحضر والزيادة الكبيرة فى نسبة الموظفين والفنيين ذوى درجة عالية من التدريب.

خامسا : مرحلة الاستهلاك الوفير The mass consumption stage:

بانقضاء مرحلة النضج وتحقيق اهدافها يصل المجتمع الى مرحلة الاستهلاك الوفير ولذلك يحدث:

أ ـ ارتفاع دخل الفرد بدرجة تمكنه من الانفاق الاستهلاكى بمعدل يفوق حاجات الغذاء والمسكن والملبس الضرورية.

ب ـ يتغير تكوين قدرة العمل فتزيد نسبة العاملين بالمكاتب والعمال الفنيين فى المصانع

جـ ـ ظهور دولة الرفاهية بتخصيص قدر كبير متزايد من المواد الاستهلاكية لاغراض الرفاهية على نطاق واسع.

وهناك نقد يوجه الى هذه النظرية:

" اعتمد " روستو " فى تحليله للمجتمعات على ما حدث فى القرن ـ الثامن عشر ـ وما تلاه فى اوربا الغربية وهى ظروف مختلفة للظروف التى تعيشها الدول النامية.

أهمل روستو العوامل التى ساعدت على تطور دول اوربا مثل ـ نفوذها العسكرى او السياسى او الاقتصادى على الدول المتخلفة سواء باعتبارها مستعمرات تابعة لها او تدور فى فلك نفوذها .

ويرى د • الحسينى بدر ان مراحل النمو يمكن تقسيمها الــى مرحلتين :

أ ـ المرحلة الاولى : وهى مرحلة النمو الاقتصادى •

ب ـ المرحلة الثانية : وهى مرحلة تطور اجتماعـــى •

جدول يبين مراحل النمو

| ١ ـ مرحلة نمو اقتصادى | ٢ ـ مرحلة تطور اجتماعى |
| --- | --- |
| الموارد : البشريـــة<br>: المادية<br>: الطبيعية<br>اشباع الحاجات الضرورية للناس • المسكن المناسب الغذاء المناسب • الملبس المناسب ـ قدر معين من الخدمات •<br>اسلوب الانتشار فى الانتاج escvensive<br>الانتاج كمى quantity<br>اقصى انتاج من سلع وخدمات Maximum | بالاضافة الى الموارد السابقة تستخدم موارد اخرى حديثة مثل التقدم العلمى ـ التقدم التنظيمى ـ التقدم التكنولوجى ـ التخصص وتقسيم العمل ـ تحسين الخدمات التجــارة<br>الحاجات الكمالية فى المرحلة السابقة تصبح ضرورية فى هذه المرحلة •<br>اسلوب التكثيف intensive<br>الانتاج نوعى quality<br>الانتاج الامثل optumum |

المرحلة الاولى : وهى تمثل المرحلة التى تمر بها الدول النامية

المرحلة الثانية : وهى مرحلة التطور الاجتماعى وهى المرحلة التى تمـر بها الدول المتقدمة •

ويمكن القول انه لايوجد فواصل محددة بين المرحلتين • ولكن يغلب على المرحلة الاولى ان اغلب الناس لم يحصلوا على الحاجات الضروريـة

للحياة • ولكن توجد مجموعة من الناس وصلت الى حد الاشباع •لذلك يجب على المخطط ان يا خذ في الاعتبار حاجة المجموعتين •

وفى المرحلة الثانية وهى مرحلة التطور الاجتماعى يغلب عليها ان الناس قد اشبعوا من الحاجات الضرورية للحياة ولكن توجد مجموعة قليلة لم تشبع فيكون الانتاج من السلع والخدمات نوعى او تصبح السلع والخدمات التى كان ينظر اليها المجتمع فى المرحلة الاولى على انها كمالية تصبح فى المرحلة الثانية هى السلع الضرورية والواجب اشباعها •

وايضا تستخدم بعض العوامل التى يشار اليها فى المرحلة الثانية فى المرحلة الاولى مثل التخصص والتكثيف •والتقدم التنظيمى والعلمى ولكن بدرجة قليلة • وهذا راجع الى ندرة الموارد وخاصة الموارد المالية فى المرحلة الاولى وكذلك عدم وجود بعض التخصصات المطلوبة والتى قد تكون نادرة فى هذه المرحلة لاستيعاب التقدم التكنولوجى المطلوب هذا بالاضافة الى وجود ايدى عاملة متوفرة ومطلوب ايجاد فرص عمل لها ولذلك يكون الاسلوب المتبع فى التنمية مركزا على تكثيف العمل labour intensive وليس على تكثيف راس المال capital intensive

ولذلك عندما تتوفر الموارد المالية بزيادة الدخل وبالتالى زيادة المدخرات التى تستثمر يمكن التركيز على تكثيف راس المال •

وعلى العموم يمكن فى المرحلتين المزج مابين الاسلوبين • • • • ولكن السؤال هو الى اى مدى؟؟ وهذا مايجب ان يأخذه المخطط فى الاعتبار •

## ( عوامل التنميـــــــة )

تستلزم عملية التنمية توافر عوامل معينة سواء كانت عوامـــل سياسية او اقتصادية اواجتماعية او ادارية وهناك عدة تصورات لعوامل التنمية منها التصورات التقليدية ومنها المعاصرة ٠ ونعرض هنا تقسيم عوامل التنمية من وجهة نظر الاقتصاد المعاصر وهى :

**اولا : عوامل اقتصاديـــة :** Economic Factors

وتنقسم هذه العوامل الى

* عوامل اقتصادية ذات طبيعة تقليدية Traditional nature
* الموارد الطبيعيـــة Natural resources
* العمـــــــل Labour resources
* راس المــــــال Capital
* عوامل اقتصادية ذات طبيعة معاصرة Contemporary nature
* التقدم التنظيمى والتكنولوجى والعلمى
* التغيرات فى الهيكل الاقتصادى والاجتماعى
* تقسيم العمـــــــل
* التخصص
* التعاون الدولـــــــى

## ثانيا : عوامل اجتماعيـــــة :

- اقامة الخدمات الاقتصادية والاجتماعيـــــة
- تحسين ظروف العمـــــل
- عوامل سيكلوجيـــــة

## ثالثا : عوامل الســـوق

معدل النمـــــو

عند اعداد الخطة سواء على المستوى المحلى اوالاقليمى اوالقومى فان ذلك يستلزم حساب معدل نموالدخل الدخل القومـــى لتحديد حجم الاستثمار وتخطيطـــه

معدل النمو = معدل الادخار السنوى ـ معدل النموالسكانى

معامل راس المـــــال

ومعامل راس المال هو قيمة المبالغ المستثمرة لزيادة الدخـل بوحدة واحدة ٠

مثـــال :

للحصول على معدل نمو للدخل القومى مقداره ٥٪ لتجاوز معدل نموالسكان ( حوالى ٨ر٢٪ ) فى مصر فان ذلك يتطلب معدل ادخار حوالى ١٥٪ اذا كان معامل راى المال ٣٪

## ماهية الدول الناميـــــة

يطلق تعبير الدول النامية حديثا على دول العالم الثالث الـــتى

تشمل دول افريقيا ودول اسيا ماعدا اليابان ودول امريكا اللاتينية وعليه يمثل سكان الدول النامية حوالى ٦٥٪ من سكان العالم .

وقد حاول الكثير من العلماء والباحثين والكتاب تحديد خصائص معينة للدول النامية وتنقسم هذه الخصائص الى قسمين :

الاول : الخصائص الاقتصادية

والثانى : الخصائص غير الاقتصادية

وفيما يلى نوضح اهم هذه الخصائص

اولا : الخصائص الاقتصدية

١ـ نقص رؤوس الاموال اوندرتها

٢ـ سوء التغذية

٣ـ انتشار البطالة المقنعة

٤ـ سوء ادارة المنشآت وعدم كفاءة الجهاز الحكومى

٥ـ انخفاض متوسط دخل الفرد ومستوى المعيشة

٦ـ ضعف التصنيع ـ والتخصص فى انتاج واحد

٧ـ ضعف البنيان الزراعى . الصادرات من المواد الزراعية . استخدام الالات البدائية فى الزراعة

٨ـ قصور او سوء استغلال الموارد الطبيعية

٩ـ التبعية الاقتصادية للخارج .

١٠ـ دوام المديونية الخارجية .

ثانيا : الخصائص غير الاقتصادية :

وتشمل النواحى السكانية والثقافية والصحية والسياسية ويمكن

تقسيمها كمايلـــــــى :

١ـ خصائص ديموجرافية عامة /

١ـ ارتفاع معدل المواليد بصفة عامة وارتفاع معدل الوفيات

٢ـ انتشار امراض سوء التغذية نتيجة لانخفاض المستوى الصحى

٢ـ خصائص ثقافية وسياسية عامة

١ـ ارتفاع نسبة الامية وانخفاض المركز الاجتماعية للمرأة وانتشار ظاهرة عمالة الاطفال

٢ـ فساد البيئة السياسية وخضوع السلوك الفردى ـ خاصة بيـــن الطبقات الشعبية ـ لتقاليد موروثة

٣ـ خصائص اجتماعيـــــــة :

١ـ سوء استغلال اوقات الفراغ

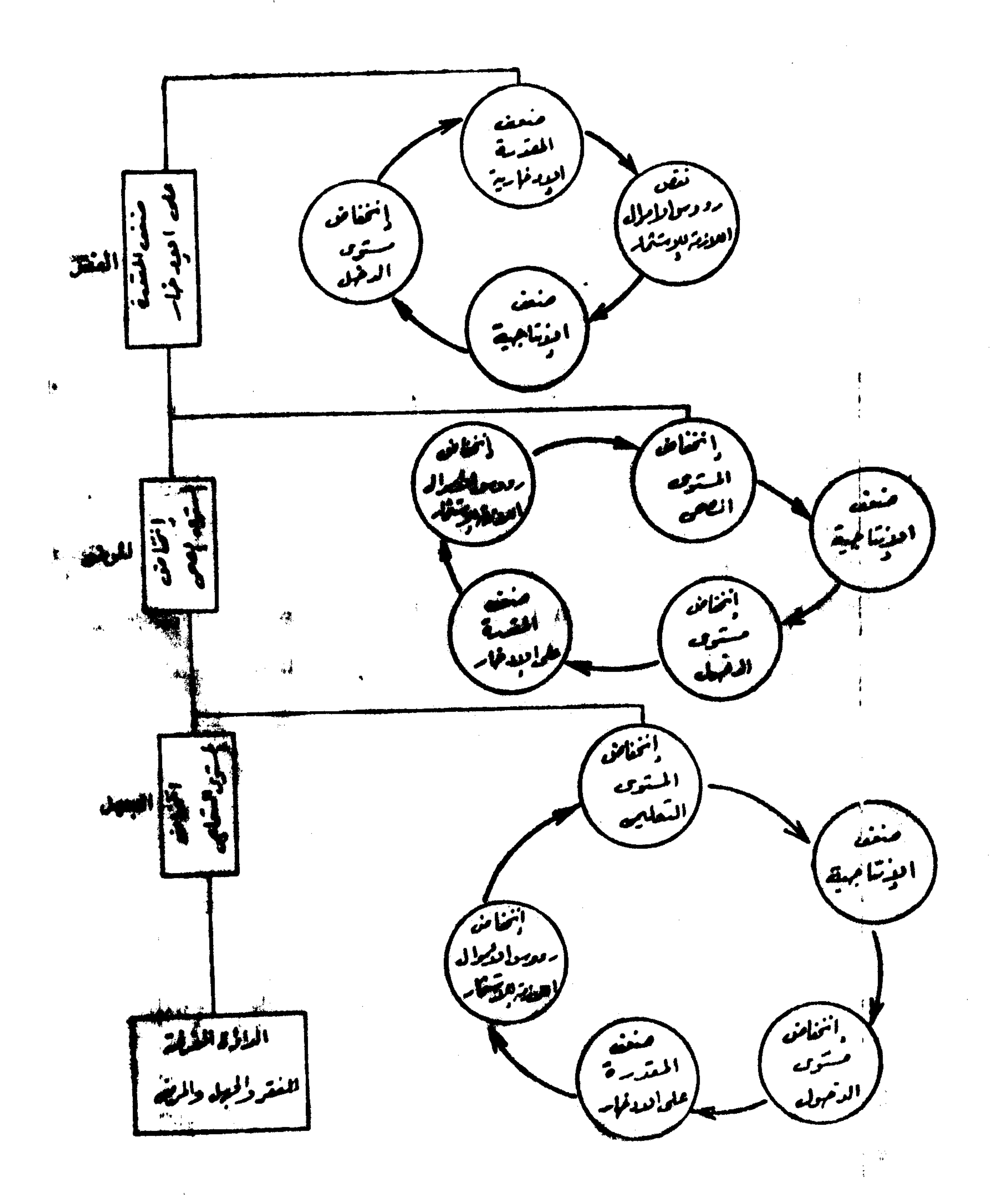
٢ـ الانفاق الهذخـــــــى

ويمكن اجمال معالم التخلف الاقتصادى فى الدول الناميـــــــة فى اربعة نقاط:

تخلف طرق الانتاج ـ عدم كفاية رؤس الاموال المنتجـــــــة البطالة ـ التبعية للعالم الخارجى ٠

ويرى كثير من الكتاب ان الخصائص التى تميز الدول الناميـــــة تبرز فى علامات ذات طبيعة دائريـــــــة ٠

ويمكن عن طريق اتباع اسلوب التخطيط التخلص من هذه الخصائص والسمات المميزة للدول النامية والاسراع فى تنمية هذه المجتمعات ٠


الفقر
ضعف المقدرة الادخارية
نقص رؤوس الأموال اللازمة للاستثمار
ضعف الإنتاجية
انخفاض مستوى الدخل
المرض
انخفاض المستوى الصحي
ضعف الإنتاجية
انخفاض مستوى الدخل
ضعف المقدرة على الادخار
انخفاض رؤوس الأموال اللازمة للاستثمار
الجهل
انخفاض المستوى التعليمي
ضعف الإنتاجية
انخفاض مستوى الدخول
ضعف المقدرة على الادخار
انخفاض رؤوس الأموال اللازمة للاستثمار
الدائرة المفرغة
الفقر والجهل والمرض

ويمكن عن طريق اتباع اسلوب التخطيط التخلص من هــــذه الخصائص والسمات المميزة للدول النامية والاسراع في تنمية هــــذه المجتمعات.

وهناك عدة اعتبارات تقضي باتباع اسلوب التخطيط في الـــدول النامية ومن اهمها :

١ـ تحقيق افضل النتائــــج :

من الضروري وجود جهاز تخطيطي يتعرف على الامكانيات ، وينسق بينها لدفع عجلة التنمية .وباستخدام التخطيـــط يمكن تحقيق افضل النتا بافضل الشروط.

٢ـ تجنب ضياع رؤوس الاموال في المشروعات الفاشلة

٣ـ تحقيق النمو المتوازن للاقتصاد القومي

٤ـ اختيار افضل المشروعات الاستثمارية ومشروعات التنمية الاساسية

٥ـ تحقيق معدلات النمو المطلوب تحقيقها

٦ـ تحقيق العدالة الاجتماعيــــة

ان الدول النامية لكي تنتقل من مرحلة التخلف الى مرحلة التقدم يتطلب ذلك اجراء تغييرات عديدة الجوانب في التنظيم الاقتصادي ـ والاجتماعي القائم .

## ( التخطيـــــــــط )

**تعريف التخطيط:**

التخطيط بالمفهوم العام نظرة الى المستقبل تعتمد في جوهرهـــا

على التنبوء ، والتخطيط عمل عقلي يعني التفكير قبل العمل ، التطلع الى الامام والاعداد للمستقبل .

ويرى الدكتور جمال الجنزوري : ان التخطيط اسلوب علمي لتحقيق هدف معين في اقصر وقت ممكن وان التخطيط القومي اسلوب علمي يستهدف التنمية الشاملة واقل قدر ممكن من الانفاق وذلك في اقصر ممكن ، وان التخطيط عملية يمكن بها استخدام الموارد والامكانيات المادية والطبيعية والبشرية استخداما امثل يحقق اكبر قدر ممكن من معدلات تنمية هذه الموارد والامكانيات .

ويقول الدكتور علي لطفي ان التخطيط يتضمن " اعداد وتنفيذ برنامج اقتصادي واجتماعي متناسق معتمدا على شيء من المركزية في الاعداد واللامركزية في التنفيذ ، متضمنا تنبوءات للاهداف المرتقبة خلال فترة معينة ، هادفا الى تحقيق تنمية اقتصادية سريعة ومنتظمة لجميع فروع النشاط وجميع مناطق الدول " .

ويعرفه الدكتور حسن توفيق :

" بانه عملية تحديد الاهداف بوضوح ودقة وتحديد خطة واساليب تنفيذ هذه الاهداف في ضوء الامكانيات والموارد المتوفرة والمتاحة والقدرة على الربط بين الهدف او التطلع والواقع او الموجود وبين الوسيلة والغاية وبين المورد والحاجة وصولا في النهاية الى موائمة منطقية وعادلة

ومن وجهة نظر الدكتور ابراهيم سعد الدين :

" ان التخطيط تنظيم للنشاط الاقتصادي والاجتماعي في مجموعة باعتباره الاداة للتنظيم الشامل لموارد المجتمع لتحقيق اهدافه المرسومة

باقل قدر من الضياع • وهى عملية موائمة بين الحاجات الاجتماعية وبين الانتاج وموازنة بين مايمكن تحقيقه من اشباع فى الحاضر ومايمكن الحصول عليه فى المستقبل •

وهو فى رأى الدكتور الحسينى بـــدر :

" منهج واسلوب علمى وعملى لتحقيق اهداف المجتمع خلال اقصر فترة زمنية ممكنة باستحداث اقصى وافضل السبل لاستغلال الموارد المتاحة توصلا للاشباع الامثل لحاجات افراد المجتمع فى كافة نواحى الحياة التى يتطلعون اليها وفقا لمعايير عامة بما يحقق اهداف المجتمع ككل وذلك فى اقصر وقت وبأدنى تكلفة ممكنة وبأدنى حد من الاسراف والضياع للموارد المادية والبشرية مع ضمان استمرارية هذا المنهج ومرونته وتجدده طبقا للواقع بما يحقق التنمية الشاملة المتكاملة للمجتمع•

## أهداف التخطيـــط : objectives

١ـ الاسراع فى عملية التنمية لتحقيق زيادة فى متوسط دخل الفرد • وتحسين مستوى معيشة المواطنين •

٢ـ توفير فرص عمل للمواطنين

٣ـ المساواة الاجتماعية او مايسمى بتقليل الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين اجزاء الدولة الواحدة •

## القواعد الرئيسية للتخطيط ومبادئـــه :

هناك قواعد اساسية ينبغى مراعاتها عند التخطيط وهى :

١ـ الواقعية : فالتخطيط عملية لابد ان تكون قائمة على تقدير الواقع

٢ـ الشمول : التخطيط السليم هوالذى يحوى تصورا جامعا لجوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية معا • ويتصل بقاعدة الشمول ايضا النظر الى جميع الوحدات الجغرافية السكانية فى الوطن الواحد

٣ـ التكامل : لايمكن ان يحقق التخطيط اهدافه مالم يكن وحدة متكاملة • فالتخطيط لا يعنى التفكير فى جملة من المشروعات تفكيرا مستقلا فى كل منها على حدة ثم جمعها الى بعضها • فهو لا يقوم على اساس المزج الميكانيكى بين المشروعات وانما يقوم على اساس مزج كيميائى فى مركب واحد •

٤ـ المرونة : المرونة معناها قابلية الخطة لمواجهة جميع الظروف الزمانية والمكانية فى المجتمع اثناء التنفيذ • المرونة الزمانية تراعى امكانيات التغيير الذى يحدث خلال المجال الزمنى المحدد لتنفيذ الخطة • اما المرونة المكانية فيقصد بها ان يكون التخطيط الذى يوضع على المستوى القومى قابلا للتنفيذ على المستويات المحلية بعد ادخال تعديلات بسيطة تستلزمها طبيعة المجتمعات المحلية •

لذا يرتبط نجاح الخطة الى حد كبير بمقدار ماتتصف به من مرونة •

٥ـ اضطراد التقدم : يجب ان يراعى فى التخطيط ان تبدأ الخطة الجديدة حيث انتهت الخطة القديمة •

٦ـ الموازنة : هذه الموازنة يمكن ان تكون بين الموارد والحاجات الفعلية حيث لا تطغى خطة النهوض الاجتماعى مثلا على خطة النهوض الاجتماعى مثلا على خطة التنمية الاقتصادية لانه بدون توافر الانتاج الاقتصادى يتعذر دائما تقديم الخدمات •

٧ـ التعاون والتنسيق: ان اساس نجاح اى مشروع انسانى هـو التنسيق بين الجهود المبذولة فيه. لذلك يحتاج التخطيـط الى التنسيق بين الاجهزة المتخصصة فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسياسية .

٨ـ التجديد : تقييم تجارب التنفيذ للاستفادة بها فى تجديـد الخطة والوصول الى احدث الطرق والاساليب العلمية المتطورة

٩ـ الاستمرارية: لابد من استمرارية التخطيط وعدم الفصل بيـن مراحل التخطيط حتى يتقدم المجتمع ويحقق هدف التنمية

١٠ـ التنبوء : يعتمد التخطيط طويل المدى على التنبوء بمدى تطور الامكانيات والحاجات خلال السنوات التالية من الخطة

١١ـ وحدة التخطيط: يجب تكامل الخطط الفرعية مع الخطط الرئيسية بحيث لا تتعارض معهـا .

١٢ـ مراعاة العدالة الاجتماعية : ان يهدف التخطيط الى تحقيـق تكافوء الفرص بين افراد المجتمع كله.

١٣ـ ترتيب الاولويات: ترتيب الاحتياجات حسب اهميتها انطلاقـا من امكانيات الدول النامية لاتستطيع الوفاء بتحقيق جميـع الاهداف وتلبية جميع الحاجات للمجتمـع.

١٤ـ البعد عن المؤثرات الدعائية او الاهداف الذاتية: وهـذا يعنى موضوعية التخطيط وحياد العلمى والبعد عن المظهريـة وعدم التاثر براى اصحاب النفوذ عند تحديد الاهداف .

ـ×ـ×ـ

## المراجـــــــع

١ـ السيد محمد الحسينى وآخرون : دراسات فى التنمية الاجتماعية ـ دار المعارف ط ٤ ١٩٧٩ .

٢ـ زهـــير الكرمى : العلم ومشكلات الانسان المعاصر ـ سلسلة عالم المعرفـــة ١٩٧٨

٣ـ محمد مظلوم حمدى : لمحات فى اقتصادنا المعاصر ـ دار المعارف ١٩٦٣

٤ـ احمد حمدى محمود : الحضارة ـ سلسلة كتابك (١٥) دار المعارف ١٩٧٧

٥ـ عبد الحميد لطفى محسن الساعاتى : دراسات فى علم السكان ـ دار المعارف ط ٥ ط ٦ ـ ١٩٧٧